

الرقيق
والجندية
في نظر محمد علي

دكتور تمام همام تمام

معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة

المجلة التاريخية المصرية - المجلة التأريخية المصرية - المجلة التاريخية المصرية - المجلة التاريخية المصرية

ان الذى دفعنى الى كتابة هذا البحث (الرقيق والجنودية فى نظر محمد على) عدة أسئلة ، كانت فى حاجة ماسة للإجابة عليها . . . اجابة مجردة من أى عاطفة . . . فمن خلال قراءتى عن تاريخ (محمد على) الذى تولى حكم مصر فى عام ١٨٠٥ ، لاحظت أن معظم الأجانب الذين عالجوا تاريخ وادى النيل فى عهده ، ذكروا أن هناك عوامل دفعته لفتح السودان فى سنتى ١٨٢٠/١٨٢١ ، وكان على رأس هذه العوامل . . . الحصول على الرقيق - أى السود - لتجنيده فى الجيش المصرى الحديث . . . ودونوا فى كتاباتهم ، أن الرجل ، كان يستغل الرقيق لمصلحته ، ويمارس التجارة فيه عن طريق حكامه فى السودان ، وأعطوا وصفا للمعاملة التى كان يلقاها الجنود السودانيون ، مايندى له الجبين ، بل وما يعتبر سبة لا فى تاريخ « محمد على » بل فى تاريخ مصر نفسها . . . وذكروا أن الغزوات التى كان يوجهها حكام السودان لجلب الرقيق ، ترتب عليها هجرة الأهالى وخراب السودان نفسه .

وهذا ما يجعل القارئ أن يضع (محمد على) فى قائمة (المستعمرين) الذين لا يهمهم الا مصلحتهم فى المقام الأول ، ولا يهمهم كيفية اتخاذ الوسائل وتنفيذها ، طالما تحقق الغايات . . .

ومما زاد في الشك نحو (محمد علي) أن هناك تقاريراً رسمية صادرة من حكومات أجنبية ، أيدت ما جاء في كتابات هؤلاء الأجانب .

لذلك تساءل الباحث مع نفسه ، ألا توجد علاقات بين المصريين والسودانيين ؟ ولماذا لجأ محمد علي الى تجنيد الرقيق السوداني بالذات . ولم يجند أبناء المصريين ؟ هل لأن الرق نظام معترف به في السودان منذ القدم ، وأن السودانيين كانوا يتاجرون فيه ؟ أم أن هناك أسباباً أخرى دعت له لذلك ؟ وهل هناك عوامل ملحة جعلته يتحمل المشقة والتكلفة لجلب السود ؟ وتجنيدهم في الجيش المصرى ، هل تعتبر تجربة جديدة ؟ وكيف عامل السود وهو - أى محمد علي - كما يقول بعض الأجانب ، معاملة سيئة ، ويريد فى الوقت نفسه انجاح هذا الجيش ! .

لم يجد الباحث اجابة مقنعة لتلك التساؤلات وغيرها ، نظراً لندرة المراجع المحايدة ، وما جاء من تلميحات عنها فى الكتب العربية . . لذلك صمم الباحث على أن يدرس تلك القضية الخطيرة ، دراسة وثائقية ، من خلال الوثائق التى كشفت عنها دار الوثائق القومية بالقاهرة ، ويقارن بينها وبين ما جاء فى التقارير والكتب الأجنبية ، لعله يصل الى الحقيقة التاريخية التى تجيب على تلك التساؤلات ، وتقطع الشك باليقين ، أو تكون هذه الدراسة بداية لغيره من الباحثين لاستخراج المزيد من الحقائق التاريخية التى تنطق بها الوثائق الأصلية .

العلاقات بين مصر والسودان قبل محمد علي :

يكاد يتفق كل من كتب عن تاريخ وادى النيل ، أن هناك علاقات وثيقة ، ربطت بين البلدين منذ أقدم العصور ، منها علاقات من نتاج الطبيعة ، علما لم تتوفر فى أى مكان مثلما توفرت فى بلدين كمصر والسودان ، ومنها علاقات أخرى من نتاج البشر ، ترتبت عليها وجود حضارة ، ان لم تكن واحدة ، فهى على الأقل متشابهة فى كثير من الوجوه ، . . فمنذ عرف المصريون السودان ، لم يدخروا وسعا فى نشر الحضارة المصرية فى تلك البلاد ، والتى مازالت شواهدنا قائمة حتى اليوم ، تتمثل فى المعابد التى تحمل طابع العمارة المصرية مثل معبد (بوهين) بالغرب من وادى حلفا الى أقصى الجنوب من جبل برقال (١) .

Fabunmi, L. A. : The Sudan in Anglo-Egyptian relations. (١)
pp. 22-23.

وكان ما يحدث في مصر ، ينعكس بصورة أو بأخرى على السودان ، فعندما بدأت مصر في الاضمحلال منذ القرن العاشر قبل الميلاد ، ومن ثم لم تتمكن من بسط ادارتها على السودان ٠٠ انتهز السودانيون هذه الفرصة واستقلوا عنها ٠٠ وصاروا ملوكا على النوبة ، وزادت سلطتهم بالتدريج ، الى حد أن اعتبروا أنفسهم مسئولين عن البلاد الممتدة من البحر المتوسط الى وسط السودان (١) .

وظلت العلاقات مستمرة بين البلدين ، يؤثر كل منهما في الآخر ، ويتأثر بما يجري فيه ٠٠ لذلك عندما انتشرت المسيحية في مصر ، انتقلت منها الديانة الجديدة الى السودان ، وتحولت البلاد من الوثنية الى المسيحية في أواسط القرن السادس الميلادي (٢) ٠٠ وعندما امتد الاسلام الى مصر ، انتقل منها الى السودان أيضا (٣) ٠ ومن ثم انتشر الاسلام بين السودانيين (٤) ، مسيحيين ووثنيين (٥) .

وعلى ذلك تكونت منذ القرن السادس عشر ، ممالك وسلطنات اسلامية ، مثل سلطنة الفونج التي قامت في سنار في عام ١٥٠٤ ، واستمرت نحو ثلاثة قرون ، حتى تم فتحها في عهد محمد علي ، فقد وصلت في أواخر عهدها الى حالة يرثى لها من الضعف والتفكك ، مما جعلها سهلة المنال للجيش المصرى الفاتح فى عام ١٨٢١ (٦) وسلطنة الفور فى دار فور ، التى كانت على علاقات وثيقة مع مصر ، وكان لها نشاط تجارى لا بأس به معها (٧) ، بالإضافة الى أن سلاطين دارفور كانوا يشجعون الطلاب للسفر الى القاهرة ، للتزود بالعلوم الدينية فى الأزهر الشريف ، وصار لهم مقر معروف باسم رواق دارفور (٨) .

Henderson, K. D. D. : The Making of the Modern Sudan. (١)
p. 481.

(٢) د . مكى سبيكه : تاريخ شعوب وادى النيل (مصر والسودان) ص ١٥٠ .

(٣) د . حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ج ١ ص ٣١١

Trimingham. : Islam in the Sudan. pp. 60-61. (٤)

(٥) د . شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ج ١ ص ١٩٩

(٦) د . نوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ج ٢ ص ٨٩

(٧) نسيم مقار : أحوال السودان الاقتصادية قبيل الفتح المصرى الأول (١٨٢٠/١٨٢١)

رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة سنة ١٩٥٧ .

(٨) د . حسن أحمد محمود : مرجع سابق ص ٣٥٨ - ٣٦١

وفي غرب النيل جنوب كردفان ، قامت مملكة اسلامية تعرف بمملكة (تقلى) في منطقة جبال النوبا والسهول المحيطة بها منذ أواسط القرن السادس عشر (١) . وكانت على علاقات مع مصر ، حيث توافد أبناؤها على الأزهر الشريف لتلقي العلوم الدينية ، وكانت ترسل الى مصر كمية من الذهب والرقيق (٢) .

علاوة على تلك السلطنات السابق الاشارة اليها ، والتي كانت على علاقات لا بأس بها مع مصر . كانت توجد في الأجزاء الأخرى من السودان ، سلطنات اما قبلية أو عصبية أخرى ، تمكنت من أن تخضع لسيادتها السكان والقبائل في مناطق محددة ، مثل حكومة الكشف الأتراك في اقليم النوبة من أسوان حتى وادي حلفا ، وخضعت سواكن ومصوع على البحر الأحمر للدولة العثمانية وكانت تلك الجهات على علاقات أيضا مع مصر من النواحي التجارية والثقافية .

اما جنوب السودان وأعلى النيل ، فكانت فيه قبائل زنجية عاشت على الفطرة وان كانت تحددت في نظام ملكي متوارث ، كما نراه عند الشلك والدنكا والباري والنوير (٣) .

ولعل تلك الممالك الزنجية كانت على علاقات اقتصادية ، بصورة أو بأخرى ، مع الممالك والسلطنات السودانية المجاورة لها ، والتي انعكست على العلاقات بينها وبين مصر (٤) .

هذه هي ملامح الصورة العامة للعلاقات التي كانت بين مصر والسودان من ناحية ، والوضع الذي كان عليه السودان ، قبيل الفتح وامتداد التنظيمات المصرية الحديثة اليه من ناحية أخرى ، والتي لم من المستطاع نشر تلك التنظيمات في بلد كالسودان وهو على تلك الصورة الا بواسطة الفتح المسلح في ذلك الوقت .

(١) د . عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٤٠

(٢) Petherick, J. Travels in Central Africa, Vol. 11, p. 7.

(٣) د . شوقي الجمل : مرجع سابق ج ١ ص ٢٢٨

(٤) ولعل أهم تلك العلاقات ، كانت اقتصادية في الدرجة الاولى ، تتمثل في الرقيق والعاج ، ثم الحاصلات الافريقة الاخرى ، ثم علاقات ثقافية ، وان كانت بشكل محدود ، تتمثل في تسرب الاسلام بطريقة أو بأخرى بين تلك الممالك الزنجية الوثنية .

تغلغل تجارة الرقيق في السودان قبيل الفتح المصري (١٨٢٠/١٨٢١)

ان مسألة الرق والتجارة في الرقيق ، من المسائل التي لها جذور ضاربة في أعماق المجتمعات البشرية .. سواء آكانت تلك المجتمعات في افريقيا وآسيا أو في أوربا ثم بعد ذلك في الأمريكتين .. فكثير من الأعمال التي تقوم بها الآن الآلات الصناعية والمكينه الزراعية ، كان يقوم بها الرقيق فيما مضى ، وكان لها أهميتها في اقتصاديات تلك المجتمعات ، ولذا كان الرق مصدر القوى العاملة في كل مجال (١) .

وبالنسبة للسودان ، فقد عرف نظام الرق - كغيره من بلاد الشرق - منذ زمن بعيد ، وكان ركنا أساسيا من اقتصادياته ، بل وحجر الزاوية في بنائه (٢) ويشتهط الأستاذ (هيل) ويقول أن اقتصاديات المجتمع السوداني كانت تقوم أساسا على الرق (٣) .. كما أنه - أى الرق - أثر بصورة واضحة في حياة السودانيين أنفسهم من النواحي الاجتماعية والسياسية .

وقد ازدهرت تجارة الرقيق في السودان منذ القرن السادس عشر في ظل حكم سلطنتي الفونج ودارفور (٤) .. والمشايخات شبه المستقلة في قرى شندى والمتمة وفازوغلى وغيرها (٥) . اذ صار الأرقاء جزءا من العشور والجزية التي يدفعها الحكام والمشايخ لكبار الرؤساء والسلطين (٦) .

فقد كان الرقيق من الأمور العادية ، والمعترف بها في السودان . ولا غبار اطلاقا على استخدامه وممارسة التجارة فيه .. وكانت له أسواق معروفة ومشهورة في سوبة وبربر وشندى وسواكن وسنار وكوبى

(١) د . محمد البهى : الاسلام والرق ص ٧ .

وكان الأرقاء (البيض) يسمون ممانيك ، والأرقاء (السود) يسمون عبدا ، وكان الخدم ينقسمون الى ثلاثة أقسام وهم : الأرقاء .. والخصيان .. والجوارى .

(٢) الشاطر بصيلى عبد الجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيل من القرن الثامن الى القرن التاسع عشر الميلادى ص ١٥٠ .

(٣) Hill, Richard. : Egypt in the Sudan. p. 102.

(٤) د . مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل (مصر والسودان) ص ٢١٨ .

(٥) د . محمد فزاد شكرى : الحكم المصري في السودان (١٨٢٠ - ١٨٨٥) ص ١٥٦ .

(٦) Browne, W. G. : Travels in Africa and Syria from the year (1792 to 1798). p. 277.

والفاشر وغيرها ، يبتاع فيها الرقيق ، ويصدر منها الى الأسواق المصرية في القاهرة والاسكندرية واسنا وفرشوط وأسيوط (١) .

وكانت أسيوط بصفة خاصة ، من أكبر وأعظم أسواق تجارة الرقيق في مصر ، وظلت مفتوحة الى عهد (محمد علي) ، اذ كانت تأتي اليها القوافل من دارفور وسنار كل عام ، ومعها ألوف من العبيد لتموين الأسواق المصرية ، وسد احتياجات أسواق الولايات العثمانية الأخرى في الشام وتركيا وشمال افريقيا .

وكانت أهم جهة يجمع منها العبيد الذين تأتي بهم قوافل دارفور ، هي واحات (الفريت) ويجمع العبيد الذين تأتي بهم قوافل سنار من الواحات المختلفة ، كواحات (الشلك) و (تقلى) ، كما كان يؤتى بأخرين من العبيد من (الحفير) و (بندا) (٢) .

وكان السلاطين والحكام في السودان ، يقومون بالغزوات بأنفسهم أو يعهدون بها الى من يقوم مقامهم ، لجلب الرقيق من الأماكن المجاورة لهم ، ثم يقومون بعرضهم في الأسواق لبيعهم الى تجار الرقيق (٣) .

وكانت عمليتا البيع والشراء ، من الأمور العادية ، ولها تجارها المعروفون من السودانيين وغيرهم - سواء كانوا من مصر أو من أزمير أو من شمال افريقيا - وتجرى عملية الشراء في الرقيق كأي سلعة أخرى مطروحة للبيع في الأسواق (٤) .

ويلاحظ أن ما كان يصل الى مصر وبلاد العرب من الرقيق الأسود (العبيد) لا يشكل الا نسبة صغيرة بالنسبة لما يحتفظ به السودانيون أنفسهم ، للقيام بأعمال الزراعة ورعى الماشية والخدمة في المنازل (٥) .

(١) بوركهات (جون لويس) : رحلات بوركهات في بلاد النوبة والسودان ، (تعريب فؤاد أندراوس) ص ٢٥٣ .

(٢) من تقرير بورنج : ترجمة د . محمد فؤاد شكرى وآخرين : بناء دولة مصر محمد على ص ٥٤٤

وقد حضر الدكتور بورنج الى مصر في عام ١٨٢٧ وكتب تقريره المشهور عن مصر وكريت ، وحاول الباحث الحصول على النسخة الأصلية ، ولم يتمكن ، لذلك اعتمد على الترجمة الواردة في الكتاب المذكور .

(٣) د . نعم شفيق : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ج ٢ ص ١٤٦

(٤) بوركهات : مرجع سابق ص ٢٥٤

(٥) بوركهات : مرجع سابق ص ٢٦٦

وكان الفائض من الرقيق عن الحاجة ، يعرض للبيع اما بالنقد ،
أو بمبادلته بالمعادن والأقمشة والخرز وغيرها (١) .

وعلى هذا كان الرقيق أساسا من أسس الحياة الاقتصادية في
السودان ، ونظاما معترفا به في المجتمع هناك ، ولا استنكار في الحصول
عليه - بطريقة أو بأخرى - وكان التجار يميزون بين عدة أنواع من
الرقيق ، فاذا ما تناولنا أحد أسواق الرقيق المشهورة في السودان ،
وليكن سوق سنار كمثال على ذلك ، لوجدنا أن العبيد المجلوبين الى هذا
السوق ، كانوا يقسمون حسب أعمارهم الى ثلاث فئات هي :

الخماسى : وهم دون العاشرة أو الحادية عشرة

السداسى : وهم فوق الحادية عشرة ودون الرابعة أو الخامسة عشرة

والبالغ : ويكون عمره من الخامسة عشرة فأكثر .

وكان أغلى هؤلاء العبيد عندهم من حيث الثمن هم السداسى (٢) .

وكان الجلابة يحرصون حين يبتاعون العبيد على التأكد من جنسهم
فقد تعلموا بالتجربة ، أن أفراد الجنس الواحد ، لا يختلفون من حيث
الطبع الا قليلا ، فعبيد (نوبا) المجلوبين من سنار كانت طباعهم دمثه ،
ويأتون فى المرتبة بعد عبيد الحبش ٠٠ وأغلى الزنوج الغربيين عند
الجلابة ، كان أهل (بندا) ٠٠ ويليه المجلوبون الى دارفور
من (برقو) ، ويقول الرحالة بوركهارت ، أن العبيد المجلوبين من
(فرتيت) متوحشون ومحبون للثأر والانتقام ، ومن أكثر أنواع العبيد
غلظة وفظاظة (٣) .

ويلاحظ أن التجارة فى الرقيق ، لم تكن قاصرة على الجلابين والتجار
فقط ، بل كانت الحكومات فى الممالك والسلطنات ، تبشر نشاطا ملموسا
فى هذه العملية ، لأنها - كما ذكرنا - كانت تمثل العمود الفقرى فى
ثروة البلاد ٠٠ فكانت سلطنة الفور التى تعتبر مستودعا كبيرا للرق ،
والذى كان يأتى لها عن طريق الغزوات والجلابة ، من المناطق المحاذرة
لها ، تمارس عملية التجارة فى الرقيق ، بجانب استخدامه فى شتى

Gray, Richard. : A History in the Southern Sudan. pp. 3-5, (١)

(٢) بوركهارت : مرجع سابق ص ٢٥٢

(٣) بوركهارت : مرجع سابق ص ٢٥٥

المجالات ، حتى أن جيش السلطان نفسه كان مكونا من الرقيق
المجلوب (١) .

وكان السلطان (سليمان صولون ١٦٤٠/١٦٧٠) يرسل بنفسه
فى كل سنة محملا وصرة الى مكة المكرمة عن طريق مصر ، مع كمية من
الریش والصمغ وأعداد من الرقيق تباع فى مصر بواسطة وكيله
(المعلم شنوده) من أسيوط (٢) .

هذا وقد قدر المعدل السنوى للرقيق الذى كانت تجلبه القوافل
من دارفور ، ما بين خمسة وستة آلاف نسمة ، كان من بينهم فتيات
يتخذن كحريم وخادمات يخدمن فى المنازل (٣) .

كذلك كان الرقيق من أهم السلع التى تصدر من مملكة الفونج (٤) .
فقد كانت سنار تصدر قبل أن توجه الحملات المصرية لفتح السودان ،
ألفا وخمسمائة نسمة فى السنة الى الأسواق المصرية (٥) .

وكان سوق (دنقلة) يحتفظ بالعبيد فى شهرى مايو ويونيو وكذلك
فى شهرى أكتوبر ونوفمبر من كل سنة ، ومن (دنقلة) تسير القوافل
قادمة من بلاد الفونج الى الأسواق المصرية لبيعه فيها أو تصديره الى
الخارج . وكانت (بربر) ملتقى تجار الرقيق القادمين من سنار ،
والتجارة فيها رائجة ، وكان الغلام يباع فيها بمبلغ أربعة جنيهات ونصف ،
والفتاة بمبلغ خمسة الى ستة جنيهات انجليزية ٠٠ أما قوافل (كرفان)
التي تعبر الصحراء الى (الدبه) فكانت تبدأ رحيلها فى فصل الخريف ،

(١) د . شوقى الجمل : تاريخ السودان وادى النيل ج ١ ص ٢٢٣

(٢) د . زاهر دباض : مصر وافريقيا ص ١٢٠

(٣) Cray, R. : op. cit., pp. 3-5.

(٤) كانت تسمى مملكة الفونج أو مملكة الفونج الزرقاء أو مملكة سنار أو سلطنة
سنار وقد تضاربت الآراء حول أصل الفونج ، الى حد أنهم نسبوا الى الشلك ،
وهذا الراى غير صحيح على الاطلاق ، لأن سلطنة الفونج تنطق بالعربية وتدين بالاسلام
بينما نجد الشلك وثنيين ولهم لهجات افريقية .

Crawford, O. G.S. : للمزيد فى هذا الموضوع انظر :

The Kingdom of Sennar, pp. 100-102.

وكذلك د . نعم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافية وغيرها

(٥) Gray, R. : op. cit., pp. 3-5.

وذلك بسبب حاجتها الى مياه الأمطار الموسمية التى تتساقط فى تلك الفترة من السنة (١) .

وعلى هذا يتضح مما سبق ، أن الرقيق كان فى السودان من الأمور المألوفة ، ومن العادات المتأصلة فى المجتمع ، وأن نظامه من المسائل المتوارثة عن الآباء والأجداد .

فمن النادر مثلا أن نجد فى بربر أو شيندى أو غيرهما من قرى السودان ، منزلا واحدا لا يقتنى واحدا أو اثنين من العبيد السود ، وهناك من يقتنى خمسة أو ستة يفلحون الأرض ويرعون الماشية ، ونجد النظام نفسه متبعا فى أعلى النيل حتى سنار ٠٠ وفى الغرب نجد قبائل البقارة فى كردفان تعيش فى مناطق السافانا مع قطعانهم الكبيرة من الماشية وعبيدهم من الرقيق (٢) ٠٠ وكذلك الحال فى دارفور ، بل كان ذلك النظام متبعا لدى قبائل البدو المحيطة بهذه الجهات ، فنرى تلك القبائل تقتنى العدد الكبير من الرقيق للأغراض السابق ذكرها (٣) .

تجنيد الرقيق فى الجيش المصرى الحديث :

لعل ما كان يحدث فى مصر ، كان ينعكس بصورة أو بأخرى على السودان ، لذلك ، فالوضع الذى كانت عليه مصر قبل أن يحكمها (محمد على) فى عام ١٨٠٥ ، كان شبيها بالوضع الذى كان عليه السودان (٤) . خاصة بعد أن لجأ اليه الأمراء المماليك الذين تمكنوا من

(١) من تقرير بورنج : مرجع سابق ص ٥٥٥ - ٥٥٦

(٢) Gray, R. : op. cit., pp. 1-2.

(٣) بوكهارت : مرجع سابق ص ٢٦٦

(٤) عاشت مصر فى اواخر عهد الدولة المملوكية فترة من الفوضى والاضطراب ، بسبب تناقض البيكوات المماليك وتشاحنهم مع الاتراك ، مما جعل البلاد سهلة النال للحملة الفرنسية فى عام ١٧٩٨ ، وبعد اجلاء تلك الحملة عن البلاد فى عام ١٨٠١ ، تعرضت مصر لصراع حاد.ومرير ، ممثلا فى بقايا المماليك والالبان والاتراك ، ومن ثم عاشت مصر فترة من الممكن أن تطلق عليها بفترة التخبط السياسى ، الذى أدى بدوره الى شدة تطلع القوى الاوربية ، خاصة بريطانيا - التى فتحت عيونها الى مصر منذ قدوم الحملة الفرنسية - حتى تمكن الشعب المصرى عن طريق الزعامة الشعبية ورجال الدين من مساعدة (محمد على) والوقوف بجواره ، فخرج بالبلاد الى بر الامان ، ومن ثم اخذ بعد العدة لبناء دولة مصر الحديثة .

أما السودان ، فكان يعيش هو الآخر فى تفكك من حيث وضعه السياسى ، فقد كان مقسما الى عدة ممالك وسلطنات متشاحنة ، بل ان السلطنة الواحدة كانت مزقة

الفرار الى الجنوب بعد مذبحة القلعة فى سنة ١٨١١ ومذبحة اسنا فى سنة ١٨١٢ وكونوا لهم ما يشبه الامارة فى (دنقلة) ورحل جماعة منهم الى كردفان وسنار ، وأخذوا يغيرون على الأهالى ، ويكونون الجنود من الرقيق الأسود ، ويقطعون طرق القوافل (١) ومن ثم صاروا مصدر قلق وتهديد ضد محمد على نفسه (٢) .

على أية حال ، كان محمد على يخطط منذ اللحظة الأولى عند توليته الحكم فى مصر لبناء دولة قوية ذات عز ومنعة (٣) . وأن ينهض بالبلاد فى مختلف المجالات الزراعية والصناعية والعمرانية ، واقامة نظام شبيه بنظام الحكومات الأوروبية (٤) . الأمر الذى جعل البعض يردد أن (محمد على) كانت تسول له نفسه بتوسيع رقعة البلاد بالاستيلاء على أملاك الدولة العثمانية نفسها (٥) .

وكان هذا الأمر يتطلب منه تكوين جيش منظم وقائم على الأساليب

بدورها الى عدة مشيخات وزعامات متنافسة ، كما كان حادثا فى دولة الفونج على سبيل المثال ، الامر الذى جعل الدين زاروا السودان قبيل الفتح المصرى يرددون أن البلاد مهيأة للتدخل الاجنبى ، بسبب الفوضى التى كانت تسود المجتمع ، بالإضافة الى تطلع الاحباش الى بعض مقاطعات سنار المتاخمة لهم . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ص ٢٤٩ .

لذلك دعا البعض الى ضرورة أن تتقدم مصر الى وضع يدها على السودان قبل أن يسبقها غيرها الى تلك البلاد .

د . نسيم مقار : الرحالة فى السودان فى النصف الاول من القرن التاسع عشر (الرحالة بران روليه) ص ٣٣ - ٣٥

وحيث أن مصر قد أنقذت فى ذلك الوقت من التيارات السياسية المتصارعة التى كادت أن تمصها بها ، فكان السودان هو الآخر فى حاجة الى من ينقذه من التفكك والوضع المتردى الذى وصل اليه ويعمل على وحدته فى ظل نظام حكومة موحدة وقوية .

(١) Waddington, George, : Tawrnal of a visit to some parts of Ethiopia, p. 254.

(٢) د . السيد رجب حراز : مرجع سابق ص ٢٤٩ - ٢٥٠

(٣) د . مكى شبكية : السودان فى قرن ص ١٢

(٤) د . راشد البراوى : مجموعة الوثائق السياسية ، المركز الدولى لمصر والسودان وقتنا السويس ص ٩ - ١٠

(٥) Dodwell, H. : The Founder of Modern Egypt, A Study of Mohamed Ali, p. 50.

المجلة التاريخية ، ١٢٩

الأوربية لتأسيس الدولة الحديثة ، ولحمايتها والدفاع عنه من الأطماع الأجنبية (١) .

لذلك بعد أن تخلص من منافسيه في الداخل بما فيهم قوة العلماء ورجال الدين التي أوصلته الى الحكم .. وبعد أن انتصر على الوهابيين في شبه الجزيرة العربية ، ومن ثم انتقل اليه الاشراف على مناطق البحر الاحمر وسواكن ومصوع (٢) .. كانت فكرة فتح السودان قد نضجت واكتملت ، ومن ثم أملت الضرورة عليه في ذلك الوقت بتنفيذها (٣) .

(١) يلاحظ أن محمد علي حاول في بادئ الأمر تطبيق النظم الحديثة على جنده من الألبان ولكنهم رفضوا ذلك النظام وقاروا عليه في عام ١٨١٥ ، وكان هدفه تكوين عناصر القيادة - أي الضباط المدربين - ليقوموا بدورهم بتدريب الجيش الجديد ، واستعان في هذه العملية بالضابط الفرنسي (سيف) ، « سليمان باشا الفرنساوي فيما بعد » لتكوين نواة من الضباط والمعلمين العسكريين للجيش النظامي الحديث .
د . عبد الرحمن زكي : أعلام الجيش والبحرية في مصر في القرن التاسع عشر ج ص ٣٥ - ٣٧

(٢) د . شوقي الجمل : تاريخ السودان وادي النيل ج ٢ ص ١٩ - ٢٠
(٣) يلاحظ أن حروب محمد علي في السودان تختلف عن حروبه الأخرى في شبه الجزيرة العربية وفي اليونان ، فلم يطلب منه السلطان العثماني تجريد الجيش لاختماد ثورة أو تمرد في السودان ، كما حدث مثلاً في شبه الجزيرة العربية ، وإنما استأذن محمد علي نفسه من السلطان في فتح السودان ، على اعتبار أن السلطان صفوفا في السيادة منذ القرن السادس عشر ، ليس على ولاية السودان فحسب ، بل وعلى ما أطلق العثمانيون عليه إيالة الحبشة أو الجيش التابعة لباشوية جدة أو الحجاز ، ووافق السلطان محمود الثاني على أن يفتح محمد علي ما يشاء من قاليم السودان ، على أن يكون ذلك باسم السلطان العثماني .

د . السيد رجب حراز : مرجع سابق ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ ،
و د . عبد الرحمن زكي : التاريخ الحربى لعصر محمد علي ، ص ٩٥ .
ويشير الدكتور شوقي الجمل ، الى أنه لم يعثر في وثائق عابدين على وثيقة واحدة تؤيد أن محمد علي طلب موافقة السلطان وأذنه في فتح السودان ، وأنه لا يدري ، هل يوجد في الارشيف التركى وثيقة بهذا الخصوص أم لا ؟
(د . شوقي الجمل : مرجع سابق ، ص ٢ ، ص ٢٣)

والواقع رغم أن الباحث لم يعثر هو الآخر ، على وثيقة تؤيد ذلك ، إلا أنه يرى أن محمد علي لم يكن حتى ذلك الوقت (١٨٢٠) قد افصح عن نيته الدفينة في اقتطاع بعض أملاك الدولة العثمانية لضمها الى مصر ، بل كان لا يزال يظهر الولاء للسلطان .. ومن ناحية أخرى كان يهيم الدولة العثمانية الا تقوم للماليك قوة في السودان ، خاصة بعد تطلعهم الى الوهابيين للتحالف معهم ، أو تحالفهم - أي للماليك - وهم أصدقاء الانجليز بالامس - مع الاحاشي .. لذلك نرى أن ثمة اتصالات تمت بين محمد علي والسلطان ، وأن الدولة العثمانية باركت هذا الفتح .

ورغم كثرة الآراء التي أثيرت حول دوافع الفتح ، فإن الوثائق الرسمية تشير الى أن الحصول على الرقيق كان من بين الأسباب التي دفعت محمد علي لذلك ، حتى يتمكن من تجنيدهم في الجيش المصرى الجديد ، والاستفادة من بعضهم فى مشروعاته الاقتصادية والعمرانية المزمع تنفيذها ٠٠

ولكن الحصول على الرقيق فى الواقع لم يكن هو الدافع الأول لعمنية الفتح ، كما يشير الى ذلك بعض المؤرخين (١) ٠٠ فقد كان فى امكان محمد علي أن يكون جيشاً منظماً من المصريين وبه عناصر من الرقيق الأسود ، وذلك عن طريق الشراء من سلطنة دارفور ، أو من سلاطين وزعماء سلطنة الفونج ، أو من التجار وأصحاب القوافل الذين كانوا يصدرون العديد من الرقيق الى الأسواق المصرية والمغربية والشامية والتركية وغيرها ، فقد بلغت تجارة الرقيق أوجها فى السودان قبيل الفتح المصرى ، وعظم نشاط الجلاية والنخاسين ، وازدهرت أسواق الرق بفعل الاضطراب الذى كان يسود البلاد ، وبفعل الركود الذى أصاب التجارة فى السلع الأخرى ، سواء كانت تلك التجارة تأتى عن طريق الوارد اليها من الحبشة أو الجهات المجاورة (٢) ٠

هذا وقد كان محمد علي هو نفسه من بين الجنود الألبانيين ، وعاصر جيوش الدولة العثمانية ، التي كانت تتكون من عناصر مختلفة ، وتحرز النصر فى ميادين كثيرة لحساب الدولة ، كما أن جيشه - أى محمد علي - الذى أرسله لخماد الحركة الوهابية فى عام ١٨١١ - استجابة لطلب

(١) د . حسن أحمد إبراهيم : محمد علي فى السودان ص ٢٤
ويذكر جورج يانج ان محمد علي فتح السودان للحصول على المعادن الثمينة التي سمع عنها هناك
(جورج يانج : تاريخ مصر من عهد الماليك الى نهاية حكم اسماعيل (تعريب على أحمد شكرى) ص ١١٣)
ويقول دودويل ان الحصول على الرقيق والبحث عن المعادن كانا من أهم أسباب الفتح
Dodwell, H. : op. cit., p. 50.
ويقول الدكتور شوقي الجمل ، ان من أهم أسباب الفتح هو تأمين مصر نفسها من الجنوب وتنشيط التجارة فى البحر الاحمر واعادتها الى ما كانت عليه سابقا فى عهد الماليك .

(د . شوقي الجمل : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٠ - ٢١)
ويرى آخرون ان من بين أسباب الفتح ، تكوين وحدة سياسية من وادى النيل ، الى غير ذلك من الأسباب ، بهدف الصالح المشترك لمصر والسودان .
(٢) د . محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ص ١٠

السلطان - كان من ذلك النوع ، أى من الباشبوزق (المرتزقة) وتمكن ذلك الجيش من القضاء على تلك الحركة ، وتوسع فى شبه الجزيرة العربية ، حتى أطلت القوات على الخليج العربى وفتحت اليمن (١) .

ولكن نظرا لسعة أفق محمد على ، فانه كان يدرك مدى امكانية الافادة من الجيش النظامى ، فقد وقف - وهو رجل عسكرى - على أهمية الجيوش المنظمة ، التى أخذت بها أوروبا بعد الثورة الفرنسية ، ولم يكن بعيدا كذلك عن أخبار قوات الحملة الفرنسية على مصر فى عام ١٧٩٨ .

لكل هذا ، رغب فى أن تكون الافادة كاملة من جيشه المنتظر تكوينه ، وأن يتحاشى ما كان يحدث من تدمير وصراعات بين الجنود المرتزقة ، وهجومهم من حين لآخر على القواد ، طالما أنه عقد العزم على تكوين دولة حديثة ، على غرار الدول الأوروبية نفسها (٢) .

ومن ناحية أخرى ، فانه سمع الكثير عن قوة واحتمال وصبر وطاعة الجند السودانيين ، فقد اشتهروا منذ أيام الفراغة بصلاحياتهم للهندية وشدة بأسهم فى الحروب (٣) . وأنه من الممكن استقدام الكثير من السود لتكوين الجيش الجديد (٤) لأن هناك فى جنوب السودان يوجد مستودع لا يفرغ من الزنوج الأفارقة الذين يمكن أن يمدوه بحاجته للعمل فى الجيش بل وفى الزراعة والصناعة (٥) . وذلك بأقل تكلفة ممكنة ، مراعاة لظروف الخزينة المصرية حينذاك . فكان عليه بجانب الانفاق على الحملات العسكرية والمشروعات الأخرى ، أن يدفع الجزية للسلطان العثمانى ، والهدايا والهبات للمستولين فى الاستانة .

يضاف الى ذلك ، أن مصر نفسها شهدت فى أواخر عهد المماليك، فترة من الاضطرابات الداخلية ، بسبب تنافس الأمراء المماليك على كراسى الحكم وما أعقب ذلك من مواجهة الشعب المصرى للحملة الفرنسية (٦) . وترتب على ذلك ، أن فقد الشعب المصرى الكثير من أبنائه ، ومن ثم

(١) د . السيد رجب حراز : مرجع سابق ، ص ٢٢٦ - ٢٤٨ .

(٢) د . راشد البراوى : مرجع سابق ، ص ٩ - ١٠ .

(٣) د . السيد رجب حراز : مرجع سابق ، ص ٢٥٠ .

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ١٦٩ .

Hill, R. : Egypt in the Sudan, p. 2.

(٥)

(٦) كرسstofر هيرولد «ج» : بونابرت فى مصر (تمريب فؤاد أندراوس) ص ٢٦٠

حدثت خلخلة في المعمور السكاني ، ترتب عليها بوار الأرض وكساد الصناعة المحلية (١) .

ويبدو أن هذه العوامل مجتمعة ، مع الأخذ بعين الاعتبار الموقف الذي كانت عليه الدولة العثمانية في ذلك الوقت ، ومواقف الدول الأوربية منها ، وجدت هوى في نفس محمد علي ، ومن ثم تشجع على الاقدام لتنفيذ فكرة تجنيد السودانيين في الجيش الحديث ، وأن يترك الفلاح المصرى للعمل في مشروعات التنمية والتعمير .

ويلاحظ أن فكرة تجنيد السودانيين - بصفة عامة - في الجيش المصرى ، ليست جديدة ، فكما ذكرنا ، ان الروابط بين البلدين ، كانت تشجع حكام مصر على ضرورة النظر الى السودان . . لذلك كان بعض هؤلاء الحكام ، يستقدمون أبناء الجنوب لتجنيدهم في الجيوش ، فقد بلغ عدد من استقدم من السودان وانخرط في الجيش أربعين ألفا في عهد أحمد بن طولون (٢) ، كذلك انتظم أبناء السودان في جيش الاخشيديين خاصة في عهد كافور (٣) ، ووصل عددهم حوالى خمسين ألفا في عهد الفاطميين ، فقد كانت والدة المستنصر بالله - وهى سودانية الأصل - تشجعه على استقدام السودانيين وتجنيدهم في الجيش (٤) لبسالتهن ، وتحملهم المشاق وطاعتهم للرؤساء .

ونظرا لشهرة الجندى السودانى والصفات الحميدة التى كان يتميز بها ، أغرت الجنرال نابليون بوناپرت ، فأرسل - أثناء تواجد الحملة الفرنسية فى مصر الى السلطان (عبد الرحمن الرشيد) سلطان دارفور (٥) ، يطلب منه ارسال ألفين من الرقيق الأشداء الذين تجاوزوا الستة عشر من العمر (٦) .

(٨) د . محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ص ١٥٩ .

(٩) د . مصطفى محمد مسعد : الاسلام والنوبة فى المصور الوسطى ص ١٢٨ .

(١٠) عن المقرئى : المواظف والاعتبار ج ١ ص ٩٥ .

(١١) د . مصطفى محمد مسعد : المرجع نفسه ص ١٣٩ .

(١٢) د . مصطفى محمد مسعد : المرجع نفسه ص ١٣٩ .

(١٣) (٥) يلاحظ ان السلطان العثمانى والذى أنعم على عبد الرحمن الدارفورى بلقب الرشيد وهذا يدل على حق السلطان فى السيادة على أقاليم السودان وتعبير (الرشيد) له مفزاه الكبير فى تاريخ العالم الاسلامى .

د . حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ج ١ ص ٣٦١-٣٥٨ .

(١٤) د . نعوم شقير : مرجع سابق ج ٢ ص ١٢٣ .

وكذلك د . محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ص ١٥٨ .

وعلى ذلك ، نرى أن نظرة محمد على الى تجنيد الرقيق في الجيش الحديث ، ليست جديدة ، وإذا كان الحصول عليه من دوافع فتح السودان ، لاستجلابه بأقل النفقات الممكنة .. فهذا أمر لا يجب أن يسوقنا ونتهم الفتح في حد ذاته بأنه نوع من أنواع الاستعمار الحديث ، الذي مارسه الدول الأوروبية في افريقيا وغيرها (١) .. كما أنه ليس اجراء غريبا أو شائنا ، فكما أحضر محمد على الرقيق الى مصر لتكوين الجيش ، أرسل الفنين والزرايع ، والأنظمة الحديثة الى السودان .. طالما كانت نيته أن يجعل من البلدين وحدة سياسية واحدة ، يستفيد من مواردها الطبيعية والبشرية للنهوض بهما معا .

الأوامر الصادرة من محمد على للمستولين في السودان لارسال الرقيق :

ذكرنا أن عامل الحصول على الرقيق ، كان من دوافع فتح السودان ، وان لم يكن العامل الرئيسى .. ونحن لا ننكر أن هذا العامل كان له من أهمية خاصة في نظر محمد على ، لتجنيدهم في الجيش الذى عقد عليه كل الآمال للوصول الى أهدافه (٢) .. وقد تطلب منه ذلك أن يكون الجيش منظما ومدربا على أحدث الأساليب العصرية وقتذاك (٣) .

لذلك كانت مسألة الحصول على الرقيق من المسائل الهامة التى كلف محمد على بها المستولين في السودان .. وتكاد معظم رسائله لحكام السودان لا تخلو من ضرورة جلب العبيد ، لأن ذلك هو غاية المراد ونتيجة المقصود ..

فيقول الى ابنه (اسماعيل باشا) سر عسكر السودان .. « ان المقصود الاصلى من هذه التكاليف الكثيرة والمتاعب الشاقة ، ليس جمع المال ، كما كتبت اليكم ذلك مرة بعد أخرى ، بل الحصول على عدد كبير من العبيد الذين يصلحون لأعمالنا ويجدرون بقضاء مصالحنا » (٤) ..

ويقول له كذلك .. « ان الغرض من انتدابكم الى تلك الديار وتعزيزكم بسواد عظيم من الجنود والمهمات واللوازم العديدة ، هو للحصول على العبيد اللازم انتقاؤهم وفق المطلوب وإيصالهم الى ثكنات

(١) د . شوقي الجمل : مرجع سابق ج ٢ ص ٧ .

(٢) د . جلال يحيى : مصر الافريقية والاطماع الاستعمارية في القرن ١٩ ص ٨٠ .

(٣) Sabry, M. : L'Empire Egyptien sous Mohamed Ali et la question d'Orient (1811-1849) p. 68.

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكتبة رقم ٣٢٥ بتاريخ ١٠ ذى القعدة ١٢٣٧ هـ .

أسوان ، غير معرضين للضياع والتلف ، وليس في نيتنا ولا في نظرنا غاية أعز من هذا الأمل ٠٠ وأن قيمة العبيد الصالحين للعمل عندنا تعادل قيمة الجواهر ، نظرا لمقتضى الوقت والحال ، بل هي أعز من تلك وأجل كما هو بديهي وأظهر « (١) » .

ويكتب لحاكم دنقلة ٠٠ « ان غرضنا الوحيد من انتداب نجلنا اسماعيل باشا الى ديار السودان ، وأيضا ولدنا البيك الدفتردار الى بلاد كردفان بهذه الاستعدادات والتكلفت الكثيرة معززين بكثير من المهمات ، هو الاهتمام الى طريقة جلب العبيد المطلوبين لدينا ، كما أن المقصود من ارسالكم الى دنقلة وارسال محو بك الى بربر ، هو رغبتنا في اتيان العبيد المجموعين بمساعي المشار اليهما بدون أن يمسهم تلف ووصولهم الى أسوان سالمين » (٢) .

ويخاطب الدفتردار ٠٠ « لا تكون هذه المسائل والوسائل باحثا على اضاعة الوقت دون ايفاء مهمة جلب العبيد ، أو سببا للبطء والتكاسل في صرف ما في الطاقة في سبيل تحقيق هذه المهمة » (٣) .

لذا نرى أنه منذ أوائل الفتح ، أرسل اسماعيل باشا سرية قوية الى جبل (تابی) قرب سنار ، بقيادة (قوجه أغا) أسرت ألفا وتسعمائة من الزوج ما بين ذكور واناث ، واغتنمت السرية من عربان (رفاعه) ، مقدار ألفي جمل وألف رأس من البقر ، وألف وتسعمائة ونيّف من الغنم ، وقد وزعت الأغنام على الجنود ، وأرسل الزوج والجمال والبقر الى مصر مع (سليم أغا) فارتاح محمد على لهذا العمل كثيرا « (٤) » .

هذا بينما كانت حملة الفتح الثانية التي يرأسها محمد بك الدفتردار ، لفتح كردفان ، تقوم هي الأخرى بتنفيذ أوامر محمد على ، بخصوص جلب الرقيق ٠٠ فبعد أن تمكن الدفتردار من هزيمة سلطان

(١) دفتر ١٠ ميه تركي : ترجمة المكاتبه رقم ٣٤٠ بتاريخ ١٩ ذى القعدة ١٢٣٧ هـ
« ٢٨ يوليو ١٨٢٢ م »

(٢) دفتر ١٠ ميه تركي : ترجمة المكاتبه رقم ٣٤٢ بتاريخ ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٣٧ هـ (٢٨ يوليو ١٨٢٢ م)

(٣) دفتر ١٠ ميه تركي : ترجمة المكاتبه رقم ٣٤٠ بتاريخ ٣ صفر ١٢٣٧ هـ
(٢٩ أكتوبر ١٨٢١ م) .

(٤) دفتر ٦ ميه تركي : ترجمة المكاتبه رقم ٦٤٧ بتاريخ ١٤ ذى القعدة ١٢٣٦ هـ
(١٤ يوليو ١٨٢١ م) .

دارفور (محمد الفضل) عند بلدة (بارة) شمال الأبيض ، وقتل (المقدم مسلم) حاكم كردفان ، استولت الحملة المصرية على ما كان لدى الحاكم المقتول ، من رقيق وقدره ألف ومائتى عبد وجارية وعلى الفور تم ارسال ثمانمائة منهم الى دنقلة ليرسلوا من هناك الى مصر (١) .

وقد طلبت الحملة من الرعايا الساكنين فى اقليم كردفان ، نحو ثلاثة آلاف من العبيد ، وقد عبر محمد على عن ارتياحه لهذا الاجراء . . . وطالب الدفتردار بأن يزيد فى جلب المقادير الكثيرة من العبيد ، ونصح بشد الرحال والتشمير عن سواعد الجد الى مهمة جلب السود ، وارسائهم بالتوالى الى مصر ، وطلب منه ، أن تذهب الحملة العسكرية الى كل صوب بمزيد من الاقدام ، والانتقاض والضرب وأخذ العبيد وارسال الصالحين منهم الى أسوان (٢) .

وفى الوقت نفسه طلب محمد على من محمد بك الدفتردار ، ضرورة تنظيم الأمور ، فى اقليم كردفان (٣) . وفعلنا شرع الدفتردار فى تنظيم شئون البلاد ، والبحث عن مناجم الذهب والمعادن الأخرى ، والاستمرار فى جمع الرقيق (٤) .

وقد بلغ مجموع العبيد الذين أرسلهم الدفتردار الى دنقلة ، ليرسلوا من هناك الى مصر ، فى الفترة من جماد أول ١٢٣٩ حتى شوال ١٢٣٩ ، أربعة آلاف عبد (٥) .

ويبدو أن محمد على شعر بأن ابنه (اسماعيل) لا يستطيع - لقلة خبرته - أن يدير الجهات المفتوحة فى السودان ، وأن يحقق ما هو مطلوب من العبيد ، فأرسل ابنه (ابراهيم باشا) الذى كان وقتذاك واليا

(١) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٤٩ بتاريخ ١٥ ربيع أول ١٢٣٧ هـ (١٠ ديسمبر ١٨٢١م) .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٤٩ بتاريخ ١٥ ربيع أول ١٢٣٧ هـ (١٠ ديسمبر ١٨٢١ م) .

ويلاحظ أنه بعد أن خضعت كردفان لسلطة محمد على ، لم يحرك سلطان دارفور ساكنا لاسترجاع سلطته على كردفان ، بل أثر التريث حفاظا على سلطنته فى دارفور

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٢٢ بتاريخ ٣ صفر ١٢٣٧ هـ (٢٠ اكتوبر ١٨٢١م) .

(٤) د . محمد مؤاد شكرى : مرجع سابق ص ٢٥ .

(٥) دفتر ١٤ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٤٢٤ بتاريخ ١٧ شوال ١٢٣٩ هـ (١٤ يوليو ١٨٢٤م) .

على جده بالحجاز ، وكان السلطان العثماني قد منحها مكافأة له لانتصاره على الوهابيين ٠٠ بجانب ان له خبرة ودراية بشئون الحرب والادارة ، وعينه قائدا عاما للقوات المصرية فى سنار وكردفان ، وأن يتفق مع أخيه اسماعيل فى أفضل الطرق لارسال الغزوات وجلب السود الصالحين للجنديّة فى مصر ، وطلب محمد على من اسماعيل أن يستمع لأخيه وأن يطيع أوامره ، فقال له ٠٠ « وابدل كل سعى وجد فى اتباع رأى حضرة ولدنا صاحب العطفة ابراهيم باشا والى جده ٠٠ خصوصا فى أمر جلب ما هو مأمول جلبيه من السودانيين على الوجه المطلوب » (١) .

وعندما وصل ابراهيم باشا الى سنار فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٨٢١ ، اتفق مع أخيه اسماعيل ، على القيام بحملتين عسكريتين ، احدهما بقيادة ابراهيم وتنتجه نحو بلاد الدنكا والنيل الأبيض (٢) . وكان الهدف منها الوصول الى منابعه - أى النيل الأبيض - والتأكد من الزعم القائل باتصال هذا النيل بنهر النيجر ، أو الزحف عن طريق كردفان على دارفور وبورنو ، واختراق الصحراء الغربية الى طرابلس ، ثم العودة منها الى مصر ، هذا بجانب جلب العبيد ، ويتولى اسماعيل قيادة الحملة الثانية ، وتنتجه نحو جبال الصعيد ٠٠ وقد أرسل ابراهيم باشا يخبر والده بهذا الاتفاق ، ويأمل حين يتم النجاح ، ارسال حوالى عشرة آلاف من الذكور الصالحين للعسكرية فوراً الى مصر ، على أن يعقب ذلك ارسال ما يتبقى من النساء والصبيّة ، وطلب محمد على من ابنه ابراهيم عدم المساس فى ذلك الوقت بالعبيد الذين فى سنار (٣) ٠ وأن يستمر الغزو لجمع أربعين ألفاً من الزنوج ، الا أن ابراهيم لم يكّد يصل الى جبل القرنين فى وسط الجزيرة ، حتى فاجأه المرض ، فاضطر الى العودة الى مصر (٤) . مع طبيبه الايطالى ، تاركا القيادة العليا من جديد لأخيه اسماعيل (٥) بينما واصلت جنوده زحفها نحو بلاد الدنكا الواقعة على بعد مسيرة أربعة عشر يوماً على النيل الأبيض .

(١) دفتر ١٠ ميه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٣٩ ص ٢٥ بتاريخ ٤ ربيع اول

٢٣٧ هـ (٢٩ نوفمبر ١٨٢٢) .

(٢) د . شوقى الجمل : مرجع سابق ج ٢ ص ٢٨ .

(٣) دفتر ١٠ ميه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٥٦ بتاريخ ٢٣ ربيع اول ١٢٣٧ هـ

١٨ نوفمبر ١٨٢١ م .

(٤) دفتر ١٠ ميه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ١٢٥ بتاريخ ١٤ جماد اول ١٢٣٧ هـ

٦ فبراير ١٨٢٢ م .

(٥) د . شوقى الجمل : مرجع سابق ج ٢ ص ٢٨ .

أما اسماعيل باشا فقد سار مع النيل الأزرق حتى بلغ فازوغلي ،
ومر بأسطوله من غدير التومت الذى يصب فى النيل الأزرق ، حتى
وصل الى بلدة سنجه ، ولكنه اضطر الى التقهقر وعاد بالجيش الى
فازوغلي (١) . ومع ٤٧٧ عبدا صالحا للجندية (٢) .

فى ذلك الوقت طلب محمد على من حاكم دنقلة التحرك فى منطقة
الشلك لكشفها والتوسع فيها عن طريق الغزو لقلب الرقيق ، وذكر له
أنه سيرسل اليه عشرين صانعا ماهرا لصناعة عدد من السفن النيلية
لتكون تحت تصرف الحملة فى الغزوات (٣) .

هذا ومما زاد فى طلبات محمد على لارسال الرقيق ، وملاحقته
المستولين فى السودان بضرورة الاسراع فى جلب الأعداد الكثيرة من العبيد
الصالحين للجندية ، بوادر العصيان والتمرد فى بلاد اليونان ، ضد الحكم
التركي ، ومحاولة الثوار الحصول على استقلال بلادهم (٤) .

حدث ذلك فى وقت كانت فيه الدولة العثمانية ، تعتمد الى حد
كبير على القوات المصرية لخماد الثورات ، والقضاء على الحركات
الانفصالية ، بعد فشل حكام العراق ودمشق فى اداء مثل تلك الأمور ،
كما حدث فى شبه الجزيرة العربية مثلا ..

لذلك يبدو أن محمد على بحسه وذكائه ، تيقن أن السلطان لا بد
والحالة هذه ، أن يستنجد به ، ويطلب منه ارسال الجيش المصرى الى
بلاد اليونان الثائرة ، فطلب من المستولين تكثيف الجهود فى تدريب
الجنود لمواجهة ذلك الخطر الجديد .. فتشير الوثائق الرسمية ، أنه
أمر حكام السودان ، وشدد عليهم ببذل كل الهمم لقنص العبيد ،
وارسالهم الى أسوان ، ويقول لهم .. ان الاقدام والعناية فى أمر جلب

(١) د . فردريك بنولا : مصر والجغرافيا (تعريب أحمد زكى) ص ١٤ .

(٢) د . مكى شيكة : السودان فى قرن ص ٣١ .

هذا وقد طلب اسماعيل من القاهرة فى فبراير ١٨٢٢ العودة الى مصر ، فأجيب
الى طلبه فى اكتوبر ، لكن عندما اندلعت الثورة فى شندى والمنتمه ، ذهب لاختصاصها:
وبعد ان تمكن من القضاء عليها ، لقي حتفه فى شندى فى يناير ١٨٢٣ عن طريق
الأمارة التى دبرها له الملك نمر ملك شندى وآخرون ، وقد انتقم الدفتردار من اهل
سنار اشد الانتقام .

(٣) دافتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٢٨٣ بتاريخ ٩ شوال ١٢٣٧ هـ .

(٢٩ يونيو ١٨٢٢ م) .

(٤) جودج يانج : مرجع سابق (تعريب على أحمد شكرى) ص ١١٦ - ١١٧ .

السودانيين المطلوبين بكثرة قد أصبحا ، في صورة الفرض ، بل لعلهما تجاوزا درجة الوجوب (١) . وأن السلطان العثماني يطلب المساعدة العسكرية لاختضاع هؤلاء الثوار المتمردين ضد الحكم هناك (٢) .

ولعل حاجة محمد علي الشديدة الى الرقيق ، جعلته يطلب - بجانب استمرار عمليات الغزو - اجراء تعداد قرى سنار وسكانها وتقسيمها الى أقسام ثلاثة (عالى ووسط وأدنى) وأنه لا مانع من تحصيل ضريبة الفردة من الرقيق على أن يكونوا من الذكور البالغين الصالحين للجنسية (٣) .

والواقع ان محمد علي اشترك اشتراكا فعليا في مساعدة السلطان ، في قمع الحركات الانفصالية التي كانت تنشب في الولايات العثمانية ، استجابة لأوامره ، لانه - أى محمد علي - كان حتى ذلك الوقت يطيع كل أوامر الدولة العثمانية ، ريثما يثبت أقدامه على أرض صلبة ، ومن ثم يجاهر بالعداء تمهيدا لتحقيق أغراضه (٤) .

لذلك ركز كل جهوده في تكوين الجيش والحصول على أكبر عدد من السود ، رغم أن الجيش المصرى في ذلك الوقت ، كان لديه القدرة بما تقتضيه الأعمال الحربية والتجربة المشتركة لكبح جماح اليونانيين ، أكثر من الجيش والأسطول العثمانيين اللذين لم ينظما بعد تنظيمًا تاما (٥) .

ولكن نظرا لعدم الاعتماد عليهما وكثرة المساعدات التي يطلبها السلطان من آن لآخر ، جعل محمد علي يتشدد مع حكام السودان لارسال الرقيق لمواجهة تلك الطلبات (٦) .

(١) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٣٩ بتاريخ ٤ ربيع أول ١٢٣٧ هـ .
(٢٩ نوفمبر ١٨٢١ م) .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٤٠ بتاريخ ٤ ربيع أول ١٢٣٧ هـ .
(٢٩ نوفمبر ١٨٢١ م) .

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة الامر رقم ٢٠٠ بتاريخ ١٥ رجب ١٢٣٧ هـ .
(٧ ابريل ١٨٢٢ م) .

(٤) بعد هزيمة الاسطول المصرى والتركى فى نوارين (٢٠ أكتوبر ١٨٢٧) وخروج محمد على من المعركة رغم رغبة السلطان ، بدأ محمد على يجاهر بالعداء ضد الدولة العثمانية ، ويعمل على تحقيق أهدافه فى تدعيم دولة مصر الحديثة وتوسيع رقعتها على حساب أملاك الدولة العثمانية فى سوريا .

(٥) جورج يانج : مرجع سابق (تعريب على احمد شكرى) ص ١١٦ - ١١٧ .

(٦) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٦٤ بتاريخ ٢٣ ربيع أول ١٢٣٧ هـ .
(١٧ ديسمبر ١٨٢١ م) .

ويلاحظ من الوثائق الرسمية ، أن محمد علي كان يستعد استعدادا تاما لخوض غمار الحرب في اليونان ، فعندما طلب ابراهيم باشا منه ، امدادات مصرية الى الحملة العسكرية بالسودان ، أفاده ، بأن الموقف الدولي متأزم ، فالأسطول المصرى يربط مع الأسطول العثماني في البحر المتوسط ، لقيام ثورة في بلاد اليونان ، وأن السلطان قد يستنجد بمصر من أجل اخماد هذه الثورة وتنظيم شئون جزيرة كريت ، وطلب منه أن يتصرف قادة الحملة بما يتناسب وأعداد الجنود المتوفرة لديهم ، حتى تنتهى هذه الأزمة (١) .

ولكن يبدو أن الحالة في السودان ، كانت هي الأخرى في حاجة الى امدادات عسكرية ، نظرا لمساحة البلاد الواسعة ، فأرسل محمد علي الى ابنه ابراهيم وقال له ٠٠ أن الرؤساء والجنود موجودون والحمد لله ، ونرسلهم حسب الاقتضاء ، ولكن المقصود هو الحصول والاستحواز على أولئك السود ، وقال له ، اذا أرسلتم من هناك - أى من السودان - ثلاثة آلاف أسود متماسك الأعضاء صالح للعمل ، نرسل لكم من هنا - أى من مصر - ألف جندي في مقابلهم ، ويضيف بأن أمر العساكر من جهتنا متوقف على ورود السودانيين ، ويذكره بأن لا يكون ارسال الألف جندي المذكورين مقصورا على مرة واحدة ، بل ممتدا ومتكررا (٢) .

وعندما اشتعلت نيران الثورة في اليونان ، أرسل محمد علي الى حاكم كردفان ، يطلب منه المزيد من الرقيق ، لأن الأروام من رعايا الدولة العثمانية في حالة عصيان ، وأن الحرب مع العجم قد بدأت ، واضطر - أى محمد علي - الى ارسال ألفي جندي مع خمسة من القواد للمحافظة على جزيرة كريت تحت قيادة (صالح بك) وأخبره بأن (حسن باشا) كان على أهبة الاستعداد على رأس جيش قوامه أربعة أو خمسة آلاف من الجنود لتأديب العصاة في تلك الجزيرة ٠٠ ولهذا فان الظروف في مصر لا تسمح بارسال جنود الى السودان ٠٠ ولم يكتف محمد علي بذلك ، بل طلب ارسال ألف من الرقيق للاحاقهم بمراكز التدريب ، وفي نظم ذلك يرسل الى السودان أربعمائة عسكري مدرب بدلا منهم (٣) .

(١) دفتر ٧٠٠٠ معية تركى : ترجمة الوثيقة رقم ٣٠٠ بتاريخ ١٩ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ

(٢) ١٦٠ سبتمبر ١٨٢١ م)

(٢) دفتر ١٠٠٠ معية تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٦٤ بتاريخ ٢٣ ربيع أول ١٢٣٧ هـ

(١٧٠ ديسمبر ١٨٢١ م)

(٣) دفتر ١٠٠٠ معية تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٢١٧ بتاريخ ٢٢ رجب ١٢٣٧ هـ

(١٤) أبريل ١٨٢٢ م)

هذا ولم يتوان محمد على لحظة واحدة في اسداء النصيح الى المسئولين في السودان ، فأرسل الى سر العسكر ، يرشده ، بأنه اذا اقتضى موسم الأمطار ٠٠ فالأموال أن تقوموا باستعدادات قوية ، فتغزو الجهات التى يرجى وجود العبيد فيها ، وتستولوا على كثير منهم ، ويحثه بأن يبذل كل الجهود وآلا يتوانى فى القيام بالغزوات ، لكى يملأ ثكنات أسوان بالرقيق (١) .

ولم يدخر محمد على وسعا فى توفير كافة مستلزمات الغزوات المسلحة من ذخيرة وجنود وفرسان ومشاة لجلب السود وارسالهم الى مصر (٢) ٠٠ لأن الضرورة كانت تحتم عليه فى ذلك الوقت أن يزيد من قواته لمواجهة الأخطار المحدقة بالدولة العثمانية من ناحية ، ولتحقيق أحلامه من ناحية أخرى : لذلك لم يتورع عن معاقبة أى مسئول يتهاون فى بذل الجهود لجلب الرقيق وتوفير مستلزمات الراحة لهم (٣) .

وكانت الغزوات تتم بطريقة منظمة ، حتى يمكن أن تأتى بالنتائج المرجوة منها ، ففي شهرى سبتمبر وأكتوبر من كل عام ، كانت ترسل حملتان أو ثلاث حملات الى جهات مختلفة من أقاليم السودان ، حيث كان الجنود المربطون فى كردفان ، يبعث بهم عادة الى جبال (نوبا) ، وجنود سنار وواد مدنى ، يتوجهون الى جبل (فنج) أو الى بلاد الدنكا ، أما الذين فى الخرطوم ، فيذهبون الى بلاد الشلك على النيل الأبيض أو تخوم الحبشة على نهر رهد (٤) .

وكانت الحملة المجهزة ، تتكون عادة من ألف الى ألفين من القوات المنظمة ، ومن أربعمئة الى ثمانمئة من المغاربة المسلحين بالبنادق ، وكان يصحبهم ثلاثمئة الى ألف من الأهالى المشاه المزودين بالدروع والسهام ومن ثلاثمئة الى خمسمئة آخرين مسلحين ويمتطون ظهور الدواب (٥) .

(١) دفتر معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٢٤٠ بتاريخ ١٩ ذى القعدة ١٢٣٧ هـ (٧ أغسطس ١٨٢٢ م) .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٤٨ ص ٣٠ بتاريخ ١٥ ربيع اول ١٢٣٧ هـ (٩ ديسمبر ١٨٢١ م) .

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ١٩٥ بتاريخ ١٦ محرم ١٢٣٩ هـ (٢٢ سبتمبر ١٨٢٣ م) .

(٤) من تقرير مستر هولرويد : ترجمة د . محمد فؤاد شكرى وآخرين : بناء دولة مصر محمد على ص ٥٥٠ وما بعدها .

Pallme, I. : Travels in Kordofan, p. 309.

(٥)

وتشير الوثائق الرسمية الى استمرار حاكم مصر في طلبه من المسئولين في السودان ، المزيد من الرقيق ، والحصول عليهم بكافة الطرق الممكنة ، لسد احتياجات الجيش من جنود باستمرار ، فعندما علم بأن حاكم دنقلة يمنع مرور قوافل العبيد القادمة من كردفان ، أمره بعدم ردهم ، وأرسل الى محمد بك ناظر مصالح أسوان وفرشوط ، أمرا مخصصا بأن لا يرد الجلابين القادمين من الجنوب ، ويشتري منهم المذكور البالغين الصالحين للجندية ، ولا يتعرض الى من يتبقى معهم من الصبية والنساء ، وكذلك ما يحملون من بضائع مثل الصمغ والريش والعاج ويسمح لهم بالمرور الى القاهرة ٠٠ وفي الوقت نفسه أصدر الأمر الى (عبدى اغا) بعدم توقف الجلابة في دنقلة ، ويسمح لهم بالمرور الى أسوان (١) .

كذلك تشير الوثائق الى أن حاكم مصر ، أمر سر عسكر كردفان ، بعدم رد الجلابة القادمين من دارفور على أعقابهم ، وطلب منه أن يشتري كل من معهم من العبيد البالغين الصالحين للعمل في الجيش ، بالثمن أو بالجوارى ، وأن يسمح لهم وكل ما معهم من سلع تجارية بالنزول الى مصر ، لأن هذا العمل كما يقول محمد على (يوافق مصلحتنا) (٢) .

هذا ولم يقتصر العمل على كل ما سبق ذكره ، بل عقد محمد على ، اتفاقا مع سلطان دارفور ، بشأن جلب السود ، وعمل على تدعيم العلاقات معه ، حتى يتمكن من الحصول على أكبر عدد من الرقيق ، فكانت رسل السلطان تقابل في مصر بالحفاوة والتكريم والترحاب (٣) .

وهكذا تشير الوثائق ، الى أن محمد على استغل كل الوسائل المتاحة أمامه ، بهدف الحصول على أكبر عدد من السود والحاقهم بالجيش الحديث ٠٠ فبجانب الغزوات المسلحة التي كان يرسلها حكام السودان لجلب الرقيق ٠٠ كان الكشف ومشايخ البلاد يجمعون العبيد من ناحيتهم ويسلمونه الى رجال الحكومة (٤) .

(١) دفتر ١٠ معيه تركى : صورة ترجمة المكاتبه رقم ٢٢١ بتاريخ غرة رجب ١٢٣٧هـ (٢٤ مارس ١٨٢٢م) .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٢١٩ بتاريخ ٢٢ رجب ١٢٣٧هـ (١٤ أبريل ١٨٢٢م) .

(٣) دفتر ٧٢٤ ديوان خديوى تركى : ترجمة ملحق المكاتبه رقم ٢١١ ص ٧٦ بتاريخ ٦ رمضان ١٢٤٢هـ (٣ أبريل ١٨٢٧م) .

(٤) مخطوطة كاتب الشؤون : (تحقيق) الشاطر بصلى عبد الجليل ص ١١٨

ويلاحظ أن حاكم المديرية في السودان ، كان عندما يرسل الحملة العسكرية للغزو ، يحرص على ألا يرسل كل ماله من جنود ، خشية أن يحدث مالا يحمده عقباؤه ربما من حيث قيام تمرد من قبل الأهالي لسبب أو لآخر ، أو ربما أن تهزم الحملة من قبل الزنوج . لذلك كان الحاكم يبقى بعض الجنود في منطقته ، حفاظا على شئون الأمن من ناحية ، والاستعداد لارسال جنود الى حملة الغزو ، اذا استدعى الأمر من ناحية أخرى (١) .

والواقع أنه رغم التعليمات الصريحة من محمد علي لكل الحكام في السودان بالمحافظة على الرقيق (٢) فان عمليات الغزو ، كانت لا تخلو من اجراءات غير انسانية من قبل الجنود ، فمثلا ذكر (هو لرويد) أنه حين زيارته لحاكم كردفان (مصطفى بك) وكان عائدا من الغزوة التي قام بها في جبل (نوبا) ومعه حوالي (٢١٧٨) أسيرا من الزنوج ما بين رجال ونساء وصبيان ، لم يجد طبيب الحملة من بينهم غير خمسين شخصا يصلحون للجندية . وحتى هؤلاء الخمسون ، لم يصل منهم على قيد الحياة الى الخرطوم الا خمسة وثلاثون فقط ، بسبب ملاقوه من تعذيب في الطريق ، الأمر الذي جعل (خورشيد باشا) حكامدار السودان ، يلفت نظر (مصطفى بك) لهذا الحادث (٣) . لأن تعليمات محمد علي تقضى بالمحافظة على سلامة العبيد وارسالهم الى مصر بدون تلف أو ضياع (٤) .

وقد حاول الباحث أن يعثر على وثيقة تشير الى تلك الحادثة ، فلم يتمكن ، لأن رواية (هولرويد) على هذه الصورة ، ان كانت صحيحة ، تدل على أن نسبة الصالحين للجندية من بين السود هي ٣٥ الى ٢١٧٨ أى بنسبة ١٦٪ تقريبا ، وهذا أمر له من الخطورة بمكان . لأن هذا يعنى أن حكومة محمد علي أسرت كل سكان السودان وقدمتهم للجندية . وهذا غير معقول من حيث المنطق . وبالتالي فان رواية (هولرويد) هذه ، تعكس وجهة نظر معينة ، وهي تشويه الحقيقة .

(١) دفتر ٧٨ معيه تركى : ترجمة الامر رقم ٣٤٧ بتاريخ ١٢ ربيع ثان ١٢٥٢ هـ

(٢٧ يوليو ١٨٣٦ م) .

(٢) سنشير الى ذلك بعد قليل

(٣) من تقرير هولرويد : ترجمه د . محمد قواد شكرى وآخرين : مرجع سابق

ص ٥٥٠ - ٥٥١ .

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٣٤٠ بتاريخ ٣ صفر ١٢٣٧ هـ

(٣٠ أكتوبر ١٨٢١ م) .

أوامر محمد علي بالعناية بالرقيق :

تنتقل بنا الوثائق الرسمية من أوامر محمد علي بخصوص إرسال الرقيق لتجنيدهم في الجيش الحديث ، الى أوامره المتلاحقة الى المسؤولين بالعناية بهم ، فتشير تلك الوثائق الى أن والى مصر ، حرص منذ البداية ، على تهيئة المناخ المناسب ، وتوفير كل مستلزمات الراحة لهؤلاء الجنود ، حتى يحصل على الثمرة المرجوة ، بعد تلك الجهود التي بذلها ، والتكاليف التي تحملتها الخزينة المصرية في ذلك السبيل .

لذلك بعد أن وقع الاختيار على أسوان لتكون مركزا لتجنيد الجيش الجديد ، وذلك لبعدها عن القاهرة ومؤثراتها من ناحية ، وقربها من السودان من ناحية أخرى (١) ٠٠ أخذ محمد علي يختار بنفسه المسؤولين ممن تتوفر فيهم صفات الاخلاص والكفاءة ٠٠ فكان تعيين (محمد بك) مأمور جهات اسنا وأسوان ، مشرفا على هذا المعسكر الجديد ، دليلا على عزم الوالى ، على انجاح تجربة الرقيق فى تكوين الجيش الحديث (٢) . هذا وقد زوده محمد على بكل السلطات اللازمة ، لتنفيذ التجربة ، وأمر جميع الضباط فى أسوان باطاعة أوامره وحذرهم من مخالفته (٣) ٠٠ وطلب من (الأغوات) فى أسوان ، التعاون معه من أجل راحة المجوبين من السودان (٤) .

وقد فطن محمد على الى أن انتقال الجنود السودانين الفجائي من حياتهم البدائية التى كانوا يعيشونها ، الى حياة جديدة غير متعودين عليها ، ربما لا تجد هوى فى نفوسهم ، لذلك رأى أن يجذبهم الى تلك الحياة ، وأن يرغبهم فيها ، فأمر ناظرا مصلحة أسوان وفرشوط ، بأعداد الثكنات اللازمة فى أسوان لايواء هؤلاء الجنود المجلوبين ، وأن تتوفر فى تلك الثكنات الشروط الصحية ، وتتسع المنشآت لايواء أربعة آلاف فرد على الأقل (٥) .

-
- (١) د . السيد رجب حراز : مرجع سابق ص ٢٢٧ .
(٢) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ١٠٥ ص ٣٦ بتاريخ ٢٧ محرم ١٢٣٧ هـ (٢٤ أكتوبر ١٨٢١ م) .
(٣) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٢٠٧ ص ١٠٠ بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ (٢٦ سبتمبر ١٨٢١ م) .
(٤) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٢٢٤ بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٧ هـ ٤ فبراير ١٨٢٢ م .
(٥) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٢٢٤ بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٧ هـ ١٩ أبريل ١٨٢٢ م .

ولما كان تجهيز الثكنات العسكرية المطلوبة للجنود ، يستغرق بعض الوقت ، الأمر الذى يعرضهم لتقلبات الطقس ، لذلك خشى محمد على من أن يحدث بهم ضرر ، فأمر بإرسال خمسمائة خيمة لايوائهم ، حتى يتم بناء الثكنات اللازمة لهم (١) .

وفى الوقت نفسه طلب من حاكم دنقلة أن يرسل الأخشاب عن طريق النيل الى أسوان وأرسل له خمسة عشر نجارا ومائتا بلطة لقطع الأخشاب المطلوبة (٢) حتى يتمكن (محمد بك) المشرف على المعسكر والمسئولون معه ، من الاسراع فى تجهيز الثكنات (٣) .

ومن ناحية أخرى ، أمر محمد على بتوفير الأغذية والملابس والأدوية للمجلبين فأصدر أوامره الى متصرف جرجا بأن يوفر احتياجاتهم من الطعام ، وأن يقدم لهم وجبات ساخنة ، أى لحم وأرز - مرتين فى الأسبوع ، ويصرف لهم ثمانية قروش كل شهر (٤) .

وشدد محمد على بأن تكون ملابسهم أنيقة ولائقة بحياتهم العسكرية الجديدة . فحين علم أن قماش البفته المستورد من أسيوط ، لا يصلح لصناعة قمصان الجنود (٥) . أمر متصرف جرجا بأن يدقق بنفسه فى عروض البفته ، وأن ينعم النظر فيها ، فإذا كانت غير موافقة للمعدل ، وانها لن تتحمل وستبلى فى وقت قريب ، أمره بأن يوقع الجزاء على صائمه تلك البفته ، ويؤدبه ويربيه بحسن الاقتضاء (٦) .

وفى الوقت نفسه أمر (محمد على) بأعداد ألف قطعة أو أكثر من قماش الزعبوط المنسوج من الخيط المغزول من الصوف الأبيض ، وأن

-
- (١) دفتر ٦ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٧٦٨ ص ١١٢ بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ (٢٦ سبتمبر ١٨٢١ م) .
- (٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ١١ بتاريخ ١٢ محرم ١٢٣٧ هـ (١٠ أكتوبر ١٨٢١ م) .
- (٣) دفتر ٦ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ١٦ ص ٥ بتاريخ ٦ محرم ١٢٣٦ هـ (١٤ أكتوبر ١٨٢٠ م) .
- (٤) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ١٧٤ بتاريخ ٢٥ جماد اول ١٢٣٧ هـ (١٩ فبراير ١٨٢٢ م) .
- (٥) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ١٢٣ بتاريخ ١٤ جماد اول ١٢٣٧ هـ (٨ فبراير ١٨٢٢ م) .
- (٦) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ١٢٤ بتاريخ ١٤ جماد اول ١٢٣٧ هـ (٨ فبراير ١٨٢٢ م) .

ترسل على الفور الى المشرف على المعسكر لتحاك منها قمصان الجنود (١).
بالتشكل الذى يتلاءم مع قوامهم وأبدانهم (٢). ٠٠ وان يعين صانع احديه
وعدد من المساعدين لصناعتها وتوفرها لهؤلاء المجلوبين بشسكل يريح
أقدامهم (٣) .

ومن الناحية الصحية ، فقد اهتم محمد على بهؤلاء الجنود اهتماما
كبيرا ، فقبل أن يلحقوا بمعسكرات التدريب ، كان يجرى عليهم الكشف
الطبي بدقة ، وكان محمد على لا يتسامح مع أى طبيب يتقاعس فى أداء
عمله على أكمل وجه . ٠٠ وظل يصدر الأوامر من حين لآخر للمسؤولين
ولحكام السودان بأن يعتنوا بصحة الجنود المجلوبين . ٠٠ ويحثهم على طلب
الأدوية اللازمة لهم ، وكان يعاقب كل من يتسبب فى إصابة الجنود
بالأمراض ، بسبب الاحمال فى طلب الأدوية (٤) . ٠٠ لذلك كان الأطباء
والمرضون فى حالة تعبئة حين وصول الرقيق ، فيقومون بتطعيمهم ضد
الجدري ومعالجتهم من كافة الأمراض الأخرى (٥) .

هذا ولم تقتصر الوثائق على ما سبق ذكره ، بل تشير كذلك الى
اهتمام محمد على بالرقيق ، اهتماما يدحض بالدليل المادى المظلم الذى
وجهت اليه حول هذا الموضوع ، فتتوالى الرسائل منه الى حكام السودان ،
والى المسؤولين فى مصر ، ببذل كافة الجهود لتوفير كل المستلزمات الخاصة
براحة العبيد ، والمحافظة عليهم ، منذ بداية انتقالهم من مواطنهم ، لأنهم
صاروا - فى نظره - خاصيتين لحكمه ، ومن ثم فهو مسئول عنهم (٦) .

لذلك حين علم أن بعض الرقيق يتعرضون للهلاك ، بسبب طول
الرحلة بين جهات السودان ومصر ، فى ذلك الوقت ، وما يعانونه من
الظما ولفحات الشمس فى الطرق الصحراوية . ٠٠ صدرت الأوامر فورا
من القاهرة الى (محو بك) حاكم بربر وشندى ، بحفر الآبار فى صحراء

-
- (١) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكتبة رقم ٢٦٨ بتاريخ ٨ رمضان ٢٢٧ هـ
٢٩ مايو ١٨٢٢ م .
(٢) دفتر ٦ معيه تركى : ترجمة المكتبة رقم ٥٦٢ بتاريخ ١٧ شوال ١٢٣٦ هـ
١٠ نوفمبر ١٨٢٣ م .
(٣) دفتر ٦ معيه تركى : ترجمة المكتبة رقم ٥٦٢ بتاريخ ٧ شوال ١٢٣٦ هـ
١٦ يوليو ١٨٢٢ م .
(٤) دفتر ٤٧ معيه تركى : ترجمة المكتبة رقم ٥٧١ بتاريخ ٢٦ جمادى ١٢٤٩ هـ
١٠ نوفمبر ١٨٣٣ م .
(٥) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكتبة رقم ٣٦٠ ص ١٢٤ بتاريخ ٦ جمادى اول
١٢٣٧ هـ (٢٩ يناير ١٨٢٢ م) .
(٦) د . جلال يحيى : مرجع سابق ص ٤٠ .

العموم ٠٠ لتوفير مياه الشرب للرقيق المجلوبين من أعلى السيل الأبيض (١) .

وقد نفذ (محو بك) تعليمات الوالى ، ودبر كل الوسائل الممكنة التى تكفل وصول أفراد الرقيق الى مصر سالمين ، وحتى لا يصيبهم أى ضرر من شأنه أن يعرض حياتهم للخطر (٢) .

هذا وقد أرسل محمد على الى ابنه ابراهيم ، ليلفت نظر حكام الأقاليم بالسودان ، الى ضرورة الحفاظ على أرواح الزنوج ، واتخاذ كل الاجراءات لراحتهم ، (اقتراح) وقد اقترح (ابراهيم) صناعة نوع من النقورات (أى قوارب) لينقل عليها أفراد الرقيق ، من بربر الى وادى حلفا ، فأصدر محمد على الأمر لحاكم دنقلة ، بتعيين مأمور للإشراف على صناعة تلك النقورات (٣) . والبدء فوراً فى صنعائها (٤) .

وقد تعهد حاكم بربر من جهته ، بتنفيذ أوامر الوالى ، وصناعة النقورات المطلوبة ، اذا توفرت لديه الخامات اللازمة من أخشاب ومسامير وغيرها بالإضافة الى الآلات المطلوبة (٥) .

وبدأ محمد على يعمل على توفير تلك الخامات ، فطلب من محافظ ابريم تدبير العمل والصناع المهرة اللازمين لصناعة النقورات (٦) ، وأن يقوم ناظر مصلحتى اسنا وأسوان ، بارسالهم فوراً الى دنقلة ، مع صرف مرتبات شهرية لهم ، قدرها عشرون قرشاً للصانع وعشرة قروش للعامل ، لترغيبهم وتشجيعهم على القيام بهذا العمل ، وانجازه فى أقل وقت ممكن (٧) .

-
- (١) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة الأمر رقم ٢٣٢ بتاريخ ٢ شعبان ١٢٣٧ هـ
(٢٤ ابريل ١٨٢٢ م) .
- (٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة الأمر رقم ١٢ بتاريخ ٢٧ محرم ١٢٣٧ هـ
(٢٤ أكتوبر ١٨٢١ م) .
- (٣) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ١٠٦ بتاريخ ٨ محرم ١٢٣٧ هـ
(١٥ أكتوبر ١٨٢١ م) .
- (٤) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٨٨ ص ٣٢ بتاريخ ٢٦ محرم ١٢٣٧ هـ
(٢٣ أكتوبر ١٨٢١ م) .
- (٥) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٢٦٥ بتاريخ ١٢ ربيع أول ١٢٣٧ هـ
(٧ ديسمبر ١٨٢١ م) .
- (٦) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة الأمر رقم ٩٤ ص ٣٤ بتاريخ ٢٧ محرم ١٢٣٧ هـ
(٢٤ أكتوبر ١٨٢١ م) .
- (٧) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة الأمر رقم ١٦٤ بتاريخ ٦ جماد ثان ١٢٣٧ هـ
(٢٨ فبراير ١٨٢٢ م) .

الخامات والآلات اللازمة لهذه الصناعة الى دنقلة ، محمولة على ظهور الجمال التي جمعت من الصعيد عن طريق متصرف جرجا (١) .

وبعد أن أتم حاكم دنقلة صناعة أربعين نقورة ، طلب محمد على منه أن يبدأ فى صناعة أربعين نقورة أخرى ، وأن يبذل الجهد فى صناعة غيرها ، على أن تستكمل فى أواخر شهر رمضان ١٢٣٧ هـ لأن البيك الدفتردار ، يرغب فى انزال الزوج الذين يؤتى بهم من بلاد الشملك القاطنين سواحل النيل الأبيض الى حلماية بواسطة تلك النقورات (٢) .

هذا وقد تشدد حاكم مصر ، مع حاكم دنقلة ، فيقول له « .. » انه لما كان وصول العبيد سالمين الى أسوان ، يتوقف على انشاء النقورات التي تصنع بأشرافكم واستخدامها فى هذا الغرض ، فقد أكدنا عليكم غير مرة ، ووصيناكم وشددنا عليكم شحنها بواسطة مندوبكم ، وقد تبينتم من حقيقة رغبتنا من كل الوجوه ، ومع ذلك فان الظروف أوجبت تأكيد هذا الأمر الأهم واستعجاله ، فاجتهدوا فى اتمام صنع النقورات المطلوبة فى أقرب وقت ممكن واستعملوها فى جلب العبيد « (٣) .

وقد وزعت النقورات المجهزة على الشلالات الموجودة فى أقاليم بربر ورباطات وشندى لنقل الرقيق من جهات السودان الى وادى حلما (٤) .

ومن وادى حلما الى أسوان ، حيث مركز التدريب - كان الرقيق يجد كل مستلزماته مدبرة ومتوفرة ، فكان (عمر أغا) المشرف على شئون الرقيق بأسوان يعمل بكل همة لتوفير كافة احتياجات الزوج من أغذية وأدوية وغيرها .. حتى لا يشعر أى فرد منهم بالغربة عن موطنه ولا يحس بالضيق والضجر ، ليصلوا الى مقر حياتهم الجديدة فى اطمئنان (٥) . ومن ثم يقبلون على حياتهم العسكرية بقلوب مفتوحة ، تحقيقا لرغبات والى مصر .

-
- (١) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٢٦٥ بتاريخ ١٢ ربيع ثان ١٢٣٧ هـ
(٦ يناير ١٨٢٢ م) .
- (٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة صورة المكاتبه رقم ٢٢١ بتاريخ ٢٢ رجب ١٢٣٧ هـ
(١٤ ابريل ١٨٢٢ م) .
- (٣) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٣٤٢ بتاريخ ١٩ ذى القعدة ١٢٣٧ هـ
(٧ أغسطس ١٨٢٢ م) .
- (٤) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة الامر رقم ١٤ ص ٧ بتاريخ ٢٧ محرم ١٢٣٧ هـ
(٢٤ اكتوبر ١٨٢٢ م) .
- (٥) دفتر ١٦ معيه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٥٧٢ بتاريخ ١٧ ربيع اول ١٢٤٠ هـ
(٩ نوفمبر ١٨٢٤ م) .

فالواقع أن محمد على لم يدخر وسعا في تذليل أى مشكلة للمحافظة والعناية بالرقيق ، فمثلا لما تكررت اعتداءات قبائل البقارة والكبابيش على قوافل العبيد المرسلين من السودان الى مصر ، وتستولى على الرقيق القادم من كردفان ، أمر محمد على بالتصدي لتلك القبائل حتى تفلح عن أساليب النهب وقطع الطرق التي كانت تمارسه قبل الفتح المصرى لتلك البلاد (١) .

ولما قويت شوكة هذه القبائل وكثرت غاراتهم على القوافل الوائدة من كردفان من ناحية ، وتكرار غارات بعض قبائل البشاريين فى جهات بربر على القوافل القادمة من سنار من ناحية أخرى . . حيث هجموا على ألف وثلاثمائة فرد من الزوج ، كان الدفتردار قد أرسلهم الى مصر ، وتمكنوا من الاستيلاء عليهم (٢) ، وأصدر الى مصر أوامره بزيادة القوة المسلحة لحراسة العبيد أثناء الرحلة من السودان الى مصر ، تحت اشراف حاكم دنقلة ، حتى يردع قطاع الطرق وينشر الأمن فى البلاد .

تقييم تجربة تجنيد الرقيق فى الجيش الحديث :

ذكرنا أن محمد على كان يرى أن تحقيق حلمه فى بناء دولة مصر الحديثة ، يتوقف على نجاحه فى تكوين الجيش المدرب على الأساليب العسكرية الأوروبية وقتذاك ، فقد طلب من ابنه (ابراهيم) اعداد قائمة بتحديد النظام الخاص لتقسيم الجيش الى آليات وأورط وسرايا (٣) .

ومن ناحية أخرى ترك الفلاحين المصريين لفلاحة الأرض والتوسع فى زراعتها ، وسخر كل الامكانيات وذلل العقبات ، فى سبيل جلب الرقيق من السودان لتجنيدهم فى ذلك الجيش .

ولكن رغم كل الجهود التى بذلت من جانبه ومن جانب المسئولين فى حكومته ، من أجل انجاح تجربة تجنيد الرقيق ، فانها - بصفة عامة - باءت بالفشل ، ربما لعدم جلب العدد الكافى من الرقيق اللازم لتكوين الجيش . . وربما بسبب تغير البيئة والمناخ واصابتهم بالأمراض التى لم تفلح معها العقاقير وقتذاك ، الأمر الذى ترتب عليه أن تلقفهم الموت بكثرة ، أزعت

(١) د . محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان ص ١١ .

(٢) دفتر ١٦ معه تركى : ترجمة الوثيقة رقم ١٨٥ بتاريخ ١٩ جماد ثان ١٢٣٩ هـ .
٢٠ فبراير ١٨٢٤ م) .

(٣) دفتر ١٠ معه تركى : ترجمة الامر رقم ٢٠٩ بتاريخ ١٨ رجب ١٢٣٧ هـ .
(١٠ أبريل ١٨٢٢ م) .

محمد على نفسه ، ومن ثم خاب أمله فى امكان الاعتماد على الرقيق فى تكوين الجيش النظامى (١) .

لذلك غير محمد على وجهة نظره ، واتجه الى تجنيد المصريين ، الذين صاروا يؤلفون الجيش النظامى ، ووصل عدده فى سنة ١٨٢٤ الى أربعة وعشرين ألف جندي (٢) ، وصار الجيش من أحسن الجيوش فى الشرق (٣) .

وليس معنى ذلك أن الجيش المصرى كان خاليا من الجنود السودانيين ، فقد ظل الجيش ، ينتظم فرقا من العبيد ، وكانت هناك بلوكات كاملة مكونة من أبناء السودان ، وفتح أمامهم باب الترقى الى درجة الضباط . . . فقد وصل (آدم بك العريفي) وهو من الجنود الزوج الى رتبة (أمير لاي) فى عام ١٨٦٧ .

فقد ترتب على صلات القربى بين البلدين ، واجب مشترك ، ربط بينهما فى ميادين القتال التى خاضها محمد على وخلفائه من بعده ، وان ظل المصريون يشكلون العنصر الأساسى فى الجيش النظامى .

ولا بأس من أن نعطي نماذج من أعمال الرقيق فى الجيش ، حتى نتمكن من تقييم عملهم ، ومن ثم الحكم عليها . . . فنقول ، أنه بعد أن تم تدريب أول ست آلايات من المصريين والرقيق ، على النظام الحديث فى أسوان ، أرسل محمد على أربعة منها ضمن الجيش الذى أرسله بقيادة ابراهيم باشا - استجابة لطلب الدولة العثمانية - لاجماد ثورة اليونان ، والمحافظة عليها ، كما شارك الجنود السودانيون مع الجنود المصريين فى محاربة الحركة الوهابية ، التى كانت تطل برأسها من آن لآخر ، ضد الوجود المصرى هناك ، فقد أرسل محمد على فى سنة ١٨٢٣ ، الألاى الثانى من الألايات الست التى سبق أن تم تدريبها بقيادة (محمد بك) ليعزز به القوات المصرية فى تلك الجهات (٤) .

(١) د. مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل ص ٣٤٠ .

إذا كان الحصول على الرقيق الدافع الرئيسى لفتح السودان . . . فبعد أن فشلت تجربة تجنيدهم فى الجيش . . . كان فى امكان محمد على أن يتخلى عن البلاد . لكن هناك عوامل أخرى - كما ذكرنا - أهم من الرقيق ، جعلته يستمر فى مد التنظيمات المصرية الحديثة الى السودان ، كما طبقها فى مصر نفسها .

(٢) د. السيد . جب حراز : مرجع سابق ص ٢٢٨ .

(٣) Hill, R. : Op. Cit., pp. 108-113.

(٤) د. عبد الرحمن زكى : الجيش المصرى فى عهد محمد على ص ٣٧ .

هذا وكان محمد علي قد أمر من قبل متصرف جرجا بسرعة ارسال
السودانيين الى الحجاز للقيام بالعمل هناك (١) ٠٠ فقد تلاحظ ان الجنود
الأتراك لا يستطيعون البقاء طويلا في تلك البلاد ، نظرا لجوهما الحار ، وأن
السودانيين في امكانهم سد الفراغ ، في الجيش هناك ، نظرا لتشابه الطقس
- الى حد ما - بطقس السودان .

وعندما اشتعلت الثورات في الشام ضد حكومة محمد علي ، بعد
معاهدة (كوتاهية) التي عقدت بينه وبين السلطان العثماني (٢) ٠٠ تشجع
الوهابيون في الحجاز ، وتشددوا في معارضة الحكم المصري في عام ١٨٣٥ ،
فأعد خورشيد باشا حكامار السودان ، أاليا من الجنود ، هو الألاي الرابع
والعشرين لمعاونة القوات المصرية المنتشرة في أرجاء الحجاز (٣) .

وفي السودان ، رأى محمد علي ، أن يخفف من طلبات الحكام الخاصة
بتزويدهم بقوات عسكرية مدربة ٠٠ وأن يستفيد من خدمات الرقيق الذي
تم تدريبه مع المصريين في أسوان ٠٠ فأرسل في ٥ يناير ١٨٢٤ (عثمان
بك) علي رأس الألاي الأول الى سنار وكردفان (٤) ، رغم أن محمد علي
كان في حاجة الى ذلك الألاي لارساله الى المورة للمشاركة في اخماد الثورة
هناك ضد الحكم التركي .

وبعد أن اشتد الخلاف بين السلطان العثماني ومحمد علي ، وبات من
المتوقع قيام الحرب بينهما في الشام ٠٠ وازاء استقرار الأحوال - الى
حد ما - في السودان ، بفضل ادارة خورشيد الحكيمه ، والحازمة في
الوقت نفسه ، فانه كان علي والى مصر أن يكتل قواته في الشام ، ويسهم
الجنود السود في حفظ الأمن والدفاع عن السودان .

لذلك كان محمد علي يرسل المكاتبه تلو الأخرى الى حكام السودان ،
يحثهم على القيام بمهامهم ، وأن يعملوا على تدعيم الحاميات بالجنود

(١) دفتر ١٠ معيه تركي : ترجمة المكاتبه رقم ١٤٥ بتاريخ ٢٥ جماد اول ١٢٣٧ هـ
(١٧ فبراير ١٨٢٢ م) .

(٢) تمت المعاهدة في ٨ ابريل ١٨٣٣ ، وبمقتضاها تم تثبيت محمد علي في حكومة
مصر والشام وكريت ، ولكن لم تلبث أن انفجرت الثورة في الشام في عام ١٨٣٤ بتحريض
من الباب العالي ، رغم جهود الحكومة المصرية في النهوض بالبلاد .

(٣) دفتر ٦٧ معيه تركي : ترجمة الامر رقم ٢٨٦ بتاريخ ٨ شعبان ١٢٥١ هـ
(٢٦ نوفمبر ١٨٣٥ م) .

(٤) د ٠ عبد الرحمن زكي : مرجع سابق ص ٢٧ .

السود ٠٠ ففي رسالة منه الى ناظر سنار ، ذكر أن الميرالاي (رستم بك) حاكم كردفان ، أكمل النقص الذى عنده فى أورطة الجهادية من العبيد ٠٠ ويقول له ٠٠ كتبت لكم أن تكملوا الأورطة التى هى فى جزيرة سنار بمعرفتكم من العبيد الذين هم فيها (١) ٠٠

وعلى ضوء تلك الأوامر ، استمر خورشيد باشا فى اكمال النقص فى الأورط العسكرية المراقبة فى السودان من الجنود السود ، لاستقرار الأمن والمحافظة على حدود البلاد من الاعتداءات الخارجية خاصة من جانب الأحباش ٠

والواقع أنه رغم تلك المشاركة التى قام بها الرقيق فى الجيش الحديث ، فإنه لم يحقق الهدف الذى كان يتطلع اليه محمد على فى تكوين هذا الجيش ، وأن يستثمر المصريين فى الزراعة والصناعة ٠٠

لذلك ترتب على جلب الرقيق من السودان ، أن خسرت الخزينة المصرية الكثير من الأموال ، وإن كانت تجربة تجنيدهم ، أفادت السودان نفسه ، حيث بدأت تتكون منهم نواة للقوات السودانية المدربة ، صارت تتزايد مع الأيام ، الى الحد الذى شاركت ، مع القوات المصرية ضد الاحتلال الانجليزى كما حدث فى عام ١٩٢٤ على سبيل المثال ٠

خاتمة : يتضح لنا من ذلك العرض السريع النقاط الآتية :

١ - كان الرق فى السودان من المسائل المتأصلة فى المجتمعات السودانية ، وكان من أهم الأركان فى بناء اقتصاديات تلك المجتمعات ، ومن ثم كان نظاما متوارثا عن الآباء والأجداد ٠

٢ - زادت التجارة فى الرقيق بشكل ملفت للأنظار قبيل الفتح المصرى للسودان ، بسبب الوضع السياسى المتردى الذى وصلت اليه ممالك ودويلات السودان ٠

٣ - لم يكن الحصول على الرقيق لتجنيدهم فى الجيش الحديث ، هو العامل الرئيسى لفتح السودان ، فقد كانت هناك عوامل أكثر أهمية من ذلك ٠

٤ - كانت نظرية محمد على ، أن جلب الرقيق فى ظل وجود الإدارة

(١) دفتر ٢٦ ميه تركى : ترجمة المكاتبه رقم ٢١٢ بتاريخ ١٦ ربيع ثان ١٢٤٣ هـ

(٦ نوفمبر ١٨٢٧)

المصرية فى السودان ، يكلفه نفقات بسيطة بالقياس اذا قام بشرائه مباشرة من السلاطين والجلابة فى السودان قبل الفتح .

٥ - رأى محمد على أنه من أسس بناء الدولة الحديثة ، أن يستفيد من أبناء وادى النيل ، وذلك بأن يجند السود فى الجيش ، نظرا لبسالتهم فى القتال وصبرهم واطاعتهم للرؤساء ، وأن يفلح المصريون الأرض ويتوسعون فى زراعتها نظرا لخبرتهم الطويلة فى ذلك الميدان ، وبمعنى آخر ، القاء مهمة الأعمال الحربية على عاتق السودانيين ، والقاء مهمة الأعمال فى المشروعات المدنية على عاتق المصريين .

٦ - تجنيد الرقيق السودانى فى الجيش الحديث ، ليست فكرة جديدة ، فقد سبق لحكام مصريين أن جندوا السود فى جيوشهم .

٧ - ترتب على قيام الثورة فى اليونان - ضد الحكم التركى - أن ازدادت طلبات محمد على من المسئولين فى السودان لجلب الأعداد الكثيرة من الرقيق لتجنيدهم فى الجيش .

٨ - أثبتت الوثائق الأصلية ، اهتمام محمد على بالرقيق ، من حيث توفير كل وسائل الراحة والمعيشة لهم وفتح أبواب الترقى أمامهم فى الجيش .

٩ - رغم فشل تجربة تجنيد الرقيق ، والخسارة التى تحملتها الخزينة المصرية نتيجة النفقات عليهم ، فإن التجربة أفادت السودان ذاته ، وذلك بأن تكونت نواة من القوات السودانية المحلية المدربة .

١٠ - ان الوعى الذى انتشر بين الرقيق السودانى فى العصر الحديث ، مرده أولا وأخيرا الى اختلاطهم بالقوات المصرية .

مصادر البحث

اولا : وثائق أصلية •

اعتمدت في هذا البحث على الوثائق الأصلية ، المحفوظة بالدفاتر والمحافظ الآتية أرقامها ٠٠ وهي مودعة بدار الوثائق القومية بالقاهرة :

- دفاتر معية تركي : أرقام : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٦٦ .
- دفاتر صادر المعية تركي : أرقام : ٧١ ، ٧٨
- دفاتر عابدين : أرقام : ٢٢١ ، ٢٢٣
- دفاتر صادر ديوان المعاونة : دفتر رقم ٣٠٦
- دفاتر صادر المعية السننية : دفتر رقم ٤١٣
- دفاتر ديوان خديوى تركي : أرقام : ٧٣٤ ، ٧٤٤ ، ٧٥٢
- محافظ بحريرا : أرقام ٨ ، ١٩

ثانيا : وثائق منشورة :

١ - تقرير جون بورنج (John Bowring) الذى جاء الى مصر فى عام ١٨٣٧ من قبل حكومة انجلترا ، فكتب تقريرا عن حالة البلاد فى ذلك الوقت من النواحي الاقتصادية والادارية والعسكرية ، بجانب حديثه المشهور مع محمد على عن الرق والتجارة فيه ، وقد ترجم الدكتور محمد فؤاد شكرى وآخرين هذا التقرير فى كتاب : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » .

٢ - تقريره آرثر هولرويد (Arther Holroyd) السائح الانجليزى الذى زار السودان ، ووقف على نظام الرق وتجارة الرقيق هناك ، وقد اعتمد بورنج فى كتابته عن الغزوات على أقوال هولرويد ، والتقرير مترجم ومنشور فى الكتاب السابق ذكره .

ثالثا : مراجع عربية ومعربة •

١ - د . السيد رجب حراز :

القاهرة ١٩٧٠

المدخل الى تاريخ مصر الحديث

- ٢ - الشاطر بصيلي عبد الجليل :
معالم تاريخ السودان وادى النيل من القرن العاشر الى
القرن التاسع عشر
القاهرة ١٩٥٥
- ٣ - الشاطر بصيلي عبد الجليل : :
(محقق) مخطوط كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة
السنارية والادارة المصرية
القاهرة ١٩٦١
- ٤ - أنجلو ساماركو :
رحلة محمد على الى السودان (تعريب طه فوزى)
القاهرة ١٩٤١
- ٥ - بوركهات (جون لويس) :
رحلات بوركهات فى بلاد النوبة والسودان (تعريب
فؤاد أندراوس)
القاهرة ١٩٥٥
- ٦ - د . جلال يحيى :
مصر الافريقية والأطماع الاستعمارية فى القرن
التاسع عشر
القاهرة ١٩٦٧
- ٧ - جورج يانج :
تاريخ مصر بين عهد الممالك الى نهاية حكم اسماعيل
(تعريب على أحمد شكرى)
القاهرة ١٩٣٧
- ٨ - د . حسن أحمد ابراهيم :
محمد على فى السودان
الخرطوم بدون تاريخ
- ٩ - د . حسن أحمد محمود :
الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ج ١
القاهرة ١٩٦٣
- ١٠ - د راشد البراوى :
مجموعة الوثائق السياسية
القاهرة ١٩٥٢
- ١١ - د . شوقي الجمل :
تاريخ السودان وادى النيل جزاء
القاهرة ١٩٦٩
- ١٢ - عبد الرحمن الرافعى :
عصر محمد على
القاهرة ١٩٥١

- ١٣ - د . عبد الرحمن زكى :
التاريخ الحربى لعصر محمد على الكبير
القاهرة ١٩٥٠
- ١٤ - د . عبد الرحمن زكى :
أعلام الجيش والبحرية فى مصر فى القرن التاسع
عشر ج ١
القاهرة ١٩٤٧
- ١٥ - د . فردريك بنولا :
مصر والجغرافيا (تعريب أحمد زكى)
القاهرة ١٩٣٧
- ١٦ - د . محمد البهى :
الاسلام والرق
القاهرة ١٩٧٨
- ١٧ - د محمد صبرى :
الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر
القاهرة ١٩٤٩
- ١٨ - د . محمد فؤاد شكرى :
الحكم المصرى فى السودان
القاهرة ١٩٤٧
- ١٩ - د . محمد فؤاد شكرى وآخرين :
بناء دولة مصر محمد على
القاهرة ١٩٤٨
- ٢٠ - د . مصطفى محمد مسعد :
الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى
القاهرة ١٩٦٠
- ٢١ - د . مكى شبيكه :
السودان فى قرن (١٨١٨ - ١٩١٩)
القاهرة ١٩٤٧
- ٢٢ - د . مكى شبيكه :
السودان عبر القرون
القاهرة ١٩٦٦
- ٢٣ - د . مكى شبيكه :
تاريخ شعوب وادى لنيل (مصر والسودان فى القرن
التاسع عشر)
القاهرة ١٩٦٥
- ٢٤ - د . نسيم مقار :
الرحالة فى السودان فى النصف الأول من القرن
التاسع عشر (الرحالة جون باتريك)
القاهرة ١٩٦١
- ٢٥ - د . نسيم مقار :
الرحالة يران روليه
القاهرة ١٩٦١

٢٦ - د ٠ نسيم مقار :

القاهرة ١٩٦١

الرحالة بالم

٢٧ - د ٠ نعيم شقير :

تاريخ السودان القديم وجغرافيته (ثلاث أجزاء) بيروت ١٩٦٧

رابعاً مراجع أجنبية :

- 1 — Deherian, Hernri : Le sudan Egyptien sous Mehemet Ali. Vol II. (Paris 1898)
- 2 — Dodwell, H. The Founder of Modern Egypt, A study of Mohamed Ali. (Cambrige 1931)
- 3— Douin, G. : Histoire du Regne de Khedine Ismail. Tom III. (Le Caire 1936)
- 4 — Gray, Richard. : A. History of the Southern Sudan (1839 — 1889) (London 1935)
- 6 — Hill, Richard. : On the Frontiers of Islam. (London 1959)
- 6 — Hill, Richard. : On the Frontiers of Islam. ((London 1970)
- 7 — Pallme, I. : Travels in Kardofan. Translated from the German) (London 1861)
- 8 — Petherick, J. : Egypt, the Sudan and Central Africa. (London 1861)
- 9 — Salry, M. L' Empire Egyptien sous Mohemed Ali. (Paris 1930)
- 10 — Shukry, M. F. : The Khedive Ismail and Slavery in the Sudan. (1863 — 1879) (Cairo 1938)
- 11 — Waddington, G. : Jaurnal of visit to some parts of Ethiopia (London 1822)

